دلالة السياق في النصّ القرآني

علي حميد خضيّر

الأكاديمية العربية في الدنمارك

دلالة السياق في النص القرآني

اطروحة مقدمة الى قسم اللغة العربية في كلية الآداب والتربية
الاكاديمية العربية في الدنمارك كجزء من متطلبات درجة الماجستير
في اللغة العربية وآدابها

وقد حازت على درجة امتياز

علي حميد خضير

اشراف الاستاذ الدكتور عبد الاله الصائغ

نيسان لسنة 2014 الموافق جمادى الاخرة 1435

(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ)

بأسمى آيات الحب والمودة أتقدم بالشكر الى استاذي العلامة الاستاذ الدكتور عبد الاله الصائغ على صبره وطول اناته للاشراف على هذا البحث وبما ابدى لي من ملاحظات قيمة ، كما اشكره لقبوله رئاسة لجنة المناقشة .

كما اشكر كلا من الاستاذ العلامة الدكتور جعفر عبد المهدي والاستاذ العلامة الدكتور خليل شاكر الزبيدي على جهدهما في قراءة البحث وقبولهما مناقشته وابداء ملاحظاتهما في تقويم البحث.

واشكر معالي الاستاذ الدكتور وليد ناجي الحيالي رئيس الأكاديمية و عميد كلية الدراسات العليا لرعايته المناقشة .

وتقديري وشكري الى الدكتور عاطف إسماعيل أحمد إبراهيم رئيس قسم علوم اللغة العربية وآدابها.

ولاانسى ان اشكر العزيز محمد شكري الذي اعانني في طبع هذا البحث مقدرا صبره .

علي حميد خضير

هنيئا للطالب على حظوته بمشرف من طراز

الإستاذ الدكتور عبد الإله الصائغ ، وهنيئا

للصائغ على تلميذه علي حميد السماوي النبه

الاستاذ الدكتور جعفر عبد المهدي صاحب

كوبنهاغن 2014 /4/21

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	7
الباب الاول	
الفصل الاول: الدلالة	9
الفصل الثاني: الدلالة عند علماء الاصول	17
الفصل الثالث: الدلالة تابعة للارادة	21
الباب الثاني	
الفصل الاول: السياق	23
الفصل الثاني: المنهج السياقي و المفهوم النفسي	32
الدلالة السياقية و مثار المنازعات	34
الفصل الثالث: السياق و نظرية النظم	36
الفصل الرابع: انواع السياق	40
الباب الثالث	
الفصل الاول: المعنى الدلالي للفظ القراني في السياق	50
الفصل الثاني: العلاقة بين سياق الموقف و اسباب النزول	64
الفصل الثالث: السياق الصوتي للقران	70
الفصل الرابع: دلالة الاساليب اللغوية في السياق	90
الفصل الخامس: دلالة ضرب الامثال في النص القراني	103

الموضوع	الصفحة
الباب الرابع	
الفصل الاول: دلالة التكرير في النص القراني	111
الفصل الثاني: اشتراك الدلالة	119
الفصل الثالث: دلالة العلوم الحديثة في القران الكريم	127
الباب الخامس	
الفصل الاول: العلاقات الدلالية الذهنية و طريقة الكشف عن المعنى السياقي	134
الفصل الثاني: اسباب التعثر في دراسة الدلالة السياقية	139
الفصل الثالث: التأثير الدلالي الفطري	142
نتائج البحث	146
المصادر و المراجع	148

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الدال على ذاته بذاته ، و تنزه عن مجانسة مخلوقاته ، و جل عن ملاءمة كيفياته ، القريب من خطرات الظنون ، البعيد عن لحظات العيون ، العالم بما كان قبل أن يكون.

و الصلاة و السلام على رسوله الكريم و على آله الطاهرين و أصحابه المنتجبين.

لا يخفى على ذي لب أن دراسة القران الكريم من أسمى الدراسات و أشرفها ، و أقربها الى النفس ، و أدلها على مراتب الكمال ، لأنها توقظ مكامن النفس فتسوقها الى التدبر ، و تحيي فيها روح التأمل.

و ما كان اختيار هذا البحث الا إيمانا بأهميته في الكشف عن مكنونات كثير من المعاني التي تختفي وراء اللفظ ، الذي لا يمكن استنطاقه الا بمعرفة دلالته في النص ، و من هنا كان للسياق أهمية في الوقوف عند كل لفظ و موقعه من الكلام.

و قد اتخذت هذه الدراسة المنهج التحليلي أَسّا لها ، على وفق منهجين الحديث و القديم ، إذ لم تغفل ما بدأه علماء اللغة ، بل انتقدت الدراسات التي اهتمت بالمنهج الحديث و رأت أنه انفرد بالدرس الدلالي متناسية أو غافلة عن مناهج علماء اللغة و جهودهم في البناء الدلالي ، إذ لم يكن الدرس الدلالي وليد هذا العصر ، بل بدأ بداية ناضجة منذ عصور متقدمة.

كما اهتمت الدراسة بتقديم المقارنة بين الدرس الدلالي القديم و الحديث ، بدارسة السياق و أهميته ، إذ لا بد من دراسة كل نص من النصوص دراسة دقيقة معتمدة فهم اللفظ أولا ، و وضعه في ما يجاوره مع غيره من اللفظ في العبارة ، و في النص بكامله ، كما لا بد من دراسة النص و دلالته من عوامل عدة ، كما أولت الدراسة الإهتمام بظرف النص و بيئته و واقعه.

و قد أكدت الدراسة على أهمية استقلالية البحث ، و عدم الانصياع وراء الأهواء العاطفية ، و التعصب الفكري ، بل دعت الى الإهتمام بدراسة دلالات النص دراسة موضوعية للوصول إلى الحقيقة.

و قد اهتمت الدراسة في إيجاد العلاقة بين الدلالة السياقية، و أثر النبر و الصوت في الكشف الدلالي، كدراسة ظرف الكلمة و إيقاعها و العلاقات العروضية.

كما اهتم البحث بدراسة العلاقات الدلالية و مؤداها الى الافصاح عن ما يستتر وراء الألفاظ ، و ذلك بإيجاد علاقات دلالية تكشف عن المعاني الحقيقية.

و قد خصصت الدراسة فصلا للدراسات القرانية الحديثة التي تتعلق بالعلوم و كيفية الكشف عن مفاهيم هذه النصوص من خلال الاستعانة بوضعها الدلالي.

و قد اعتمدت الدراسة مصادر و مراجع موثوق بها جمعت بين القديم و الحديث ، فأولت الإهتمام بما هو نافع منها في مجال البحث و الدراسة ، و قوة الحجة و بيان الفائدة.

و ما يأمله البحث أن يكون قد ساهم في إيجاد طريق للوصول الى المعاني الكامنة وراء النص القراني ، أو يكون مساهمة مكملة لجهود الباحثين رغبة في الوصول الى نيل ثواب الآخرة ، و ارضاء له جل و علا.

و الحمدلله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لو لا أن هدانا الله ، و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف خلقه أجمعين محمد و على آله الطيبين الطاهرين و أصحابه المنتجبين.

علي حميد خضير

الباب الأول

الفصل الأول

الدلالة

الدلالة

الدلالة لغة: دله على الشيء يدله دلا ودلالة فاندل: سدده إليه، والدليل: ما يستدل به، والدليل: الدال وقد دله على الطريق يدله دلالة ودلولة. والجمع ادلة وأدلاء والاسم الدلالة بالكسر والفتح، والدلولة والدليلي.

قال سيبويه: الدليلي علمه بالدلالة ورسوخه فيها ودللت بهذا الطريق: عرفته، ودللت به أدل دلالة، وأدللت بالطريق إدلالا.[1]

قال الزمخشري في أساس البلاغة (دله على الطريق، وهو دليل المفازة، وهم أدلاؤها وأدللت الطريق، اهتديت اليه).[2]

وقد وردت كلمة دل في القرآن الكريم كقوله تعالى ((مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ))[3] أي ما دل الجن على الموت إلا الإرضة.[4]

وقد ورد في المعجم الوسيط، دل عليه أو إليه يدل دلالة: أرشد، ويقال دله على الطريق ونحوه سدده اليه، أو أرشده إليه فهو دال. والدلالة الارشاد. [5]

ويبدو أن هذا المعنى لم يكن دقيقا فقد لا يراد بالدلالة الارشاد وهذا ما ورد في قوله تعالى ((فدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا))[6].

ويبدو أن لفظ دل، وأدلك، وأدلكم، تدلكم وغيرها من الألفاظ هي بمعنى الإعلام أي أعلم كقوله تعالى ((هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ))[7]. أو قوله تعالى ((هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ))[8]، وقوله تعالى ((قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى))[9].

1- ابن منظور: لسان العرب ج11(بيروت : دار صادر 1414هـ)ص 247 (دلل) .
2- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل ج1 ، تحقيق محمد باسل عيون السود (بيروت : دار الكتب العلمية 1995)138.
3- سبأ /34.
4- الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن ج7 تحقيق السيد هاشم الرسول المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي / (بيروت: دار المعرفة 1986)ص 600.
5-ابراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ج1(مصر : /مكتبة الشروق الدولية 2004) / (دل)ص 216.
6- الاعراف / 22.
7- القصص / 12.
8- سبأ / 7.
9- طه / 120.

وقوله تعالى ((إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ))[1]، أو قوله تعالى ((هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ))[2].

فاللفظ في حقيقته لم يكن غريبا، بل ورد تكريره في القرآن الكريم، ويتفاوت بين الاعلام اي اعلم او الارشاد سلبا او ايجابا كما مر ذكره في ما تقدم. والخوض في معنى الدلالة في اللغة كما يبدو من المعاجم ينتهي الى معنى واحد ولا يتجاوز اكثر من ذلك كما تقدم، وقد ورد لفظ الدلالة بقراءتين كسر الدال فيقولون دل دِلالة وفتحها فيقولون دل دَلالة.

الدلالة في الاصطلاح: الدلالة في العربية تركيب اضافي يدل دلالة الاسم على مسمى خال من الدلالة على الزمان وهو يقابل بالإنجليزية (Semantics)
وكلا المصطلحين العربي والانجليزي يدلان على (دراسة العلاقة بين الرمز ومعناه ويدرس تطور معاني الكلمات تاريخيا، وتنوع المعاني، والمجاز اللغوي والعلاقات بين كلمات اللغة)[3].

تعد أغلب المصادر اللغوية أن مصطلح علم الدلالة مصطلح حديث، وأول (من)* ما وضعه العالم الفرنسي اللغوي بريال في سنة 1897 وقد اسماه (السيمانتيك) كما اطلق عليه اسماء في اللغة الانجليزية اشهرها الان كلمة (سيمانتيك)، وكلمة سيمانتيك مأخوذة عن كلمة (سيما) اليونانية وتعني علامة.

ومن الغريب ان الكلمة عربية الاصل وهي سيماء من سمة وتعني علامة ايضا بدلالة قوله تعالى ((سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ))[4] وقوله تعالى ((وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ))[5]. في هذا القول المبارك نرى ان هناك ربطا بين المعرفة بالقول والمعرفة بالعلامة وهذا ما يدل على كون الدلالة ليست فقط دلالة صوتية بل منطقية اشارية.

ويمكن القول بأن علم الدلالة يراد به علم المعنى، وقد ميز بعضهم علم المعنى عن علم المعاني لان علم المعاني من فنون البلاغة، ويبدو أن هذا العلم لم يكن حديثا بل طرق بابه عند علماء اليونان وعند لغويي العرب، وقد ظهرت تعريفات في هذا الباب يمكن عدها اللبنة الأولى لهذا العلم، إلا أن المنهج الذي اتبعه بريال كان منهجا جديدا، وقد وضع كتابا خاصا بهذا العلم أسماه (محاولة في علم المعاني) وقد بدأ اهتمام بريال بهذا الجانب ، لأن هذا الجانب أخذ يهتم بالكلمة ومدى فهمها ومضمونها، وهذا الأمر لم يعهد بهذا التفصيل ، إلا أنه لا ينكر أن الباحثين الأوائل كان لهم السبق.

1- طه / 40.
2- الصف / 10.
3 – أنيس : ابراهيم / دلالة الالفاظ ، ط 5 (القاهرة : مطبعة الانجلو المصرية / 1984) ص11.
* – في الاصل (ما) بعد التصحيح (من).
4- الفتح / 29.
5 – محمد / 30.
* ميشال جول ألفرىٰ بريال : (Michel Jules Alfred Bréal) (1832- 1915) عالم لغويات فرنسي متخصّص في فقه اللغة، يعد المؤسّس (علم الدلالة).

وقد رأت الدراسات الغربية أن هناك علاقة بين علم الدلالة والبلاغة ، فقد (كان علم الدلالة مرتبطا بعلم البلاغة التقليدي ، وفي الثقافة الغربية القديمة ولم يصبح الجانب الدلالي كيانا مستقلا إلا بعد نشر اللغوي الفرنسي بريال سنة 1897 مقالة وهذه المقالة تحمل عنوان علم الدلالة)[1]

ولو عدنا إلى تعريفات القدماء لهذا العلم لوجدنا أن مفاهيمهم كانت بدقة لا يمكن نكرانها، فهم قبل الخوض في كل شيء أوجدوا بل درسوا علاقة اللفظ بالمعنى، ودرسوا العلاقة بين اللفظ والمعنى، كما أن نظرتهم الاستقرائية أوجدت علامات بين (الاسباب الكونية وما يتسبب عنها كالصلة بين النار والاحتراق والخصب والنماء ، وبدا من سحر الالفاظ في أذهان بعضهم وسيطرتها على تفكيرهم أن ربط بينهما ومدلولاتها ربطا وثيقا، وجعلها سببا طبيعيا للفهم والادراك فلا تؤدى الدلالة إلا به ولا تخطر الصورة في الذهن إلا حين النطق بلفظ ومعنى)[2].

ويرى الكثيرون أن علم الدلالة (العلم الذي يدرس المعنى)[3] ويرى جون لا ينز أنه (علم المعنى)[4].

والدلالة كما يراها الجرجاني: (هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول، وكيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص، وإشارة النص ودلالة النص واقتضاء النص، ووجه ضبطه، فقوله لغة أي يعرفه كل من يعرف هذا اللسان بمجرد سماع اللفظ من غير تأمل، كالنهي عن التأفيف في قوله تعالى ((فلا تقل لهما أف))[5] يوقف به على حرمة الضرب وغيره، مما فيه نوع من الأذى مما فيه نوع من الأذى بدون الاجتهاد).[6]

ولو تأملنا تعريف الشريف الجرجاني، رأيناه تعريفا دقيقا جمع آراء سابقيه، فقد جمع بين آراء المنطقيين والأصوليين واللغوين وإن كان تعريفه جامعا غير مانع، ولو قارنا تعريفه بتعريف دي سوسير لوجدنا دي سوسير يتبنى الرأي المنطقي فقط ، فيرى دي سوسير أن هناك دالا هو (لفظ) وهناك مدلول (معنى) و مفهوم الدال والمدلول وجهان لورقة واحدة لا يمكن الفصل بينهما وأن تحليل الدال يؤدي إلى تحليل المدلول.[6]

---

1 – مجاهد ، عبد الكريم : الدلالة اللغوية عند العرب (عمان : دار الضياء للطبع والنشر ، 1985) ص 12.

2 – عمر، أحمد مختار: علم الدلالة، ط 5 (بيروت: عالم الكتب، 1988) ص67.

3 – المصدر نفسه ،ص68.

4 – لاينز، جون لاين :علم الدلالة ، ترجمة عبد المجبد الماشطة ، (البصرة : منشورات كلية الاداب جامعة البصرة ،1980) ص9

5- الاسراء/23.

6- الشريف ، الجرجاني : كتاب التعريفات (مكة المكرمة المطبعة الفيصلية ، 1992) ص104.

7- فردنيان ، دي سوسير : دروس في الألسنية العامة ، ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاويش (تونس :الدار العربية للكتاب 1985) ص174.

* فريدينناند دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857- 1913) عالم لغويات سويسري يُعد المؤسس للمدرسة البنيوية في اللسانيات و من أشهر علماء اللغة في العصر الحديث حيث اتجه بتفكيره نحو دراسة اللغات دراسة وصفية وقد رأى أن اللغة ظاهرة اجتماعية بعد أن كانت اللغات تدرس دراسة تاريخية، وكان السبب في هذا التحول في دراسة اللغة هو اكتشاف اللغة السنسكريتية.

وهذا يتعارض مع قوله (الصلة بين الألفاظ والدلالات، اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد)[1].

ومن أدق التعريفات وأجملها تعريف الغزالي الذي يرى أن الأشياء لها أربعة مراتب عندما قال (إن للشيء وجودا في الأعيان ثم في الأذهان ثم في اللفظ ثم في الكتابة، فالكتابة دال على اللفظ ، واللفظ دال على المعنى ، الذي هو في النفس والذي في النفس هو مثال الوجود في الأعيان)[2].

ويبدو للدارس أن الغزالي جمع بين تعريفات المناطقة واللغوين.

ومن خلال ما تقدم يتضح أن الدلالة علم يدرس المعنى، على وفق قواعد وأسس وإن اختلفت الآراء فيها، فهي تصب في مصب واحد وهو المعنى ، فبالدلالة تفهم قصد المتكلم، وقد أحسن العرب إذ قالوا (لكل مقام مقال) وهذا الأمر بعينه يوصل إلى أن هناك أمورا لا بد أن تتوافر للوصول إلى دلالة اللفظ ، وهي الأصل والوضع والبيئة والحالة النفسية والمناسبة.

وقد أجاد كثير من علماء اللغة والمناطقة وعلماء الأصول رغم نزاعاتهم فأثروا البحث اللغوي، وساهموا في تطوير اللغات ، وإحياء اللغة التي لا بد أن تكون دلالاتها واضحة ، إذ يحتاجها العامي والقانوني والمثقف والعالم والفيلسوف وعالم النفس، والكل للوصول إلى فهم المعنى ومقصد المتكلم.

لم يكن علم الدلالة وليد لحظة، أو مقتصرا على أمة أو قوم أو حضارة من الحضارات، بل هو وليد الحاجة الانسانية، ومن خلال دراسة واقع الدلالة يلاحظ أن بواكير هذا العلم، قبل أن يوضع منهج التقنين، وكان مبدأ هذا العلم الفطرة الانسانية التي تحاول فهم الاشياء، والتواصل، ووضع علامات أو سمات يمكن ان يعتمد عليها في الفهم، وكانت وما زالت تصورية لأنها تعتمد الفطرة أولا.

وقد بدأ الخوض في الفهم الدلالي عند كل الشعوب دون استثناء، ثم بدأت حركة دراسة اللغة وكيفية نشأتها، وكيف توصل الإنسان إلى التفاهم، فكان حكم التفكير الجمعي للإنسان قد وضع مبدأ التواضع في اللغة، وقد نرى حيرة كثير من علماء اللغة في أصل نشأتها ولكن

---

1 – أنيس، ابراهيم : دلالة الالفاظ ط 5 (مصر : مطبعة الانجلو المصرية ، 1984) /70 .

2 – شامية ،أحمد شامية : محاضرات في علم الدلالة ، مجلة تجليات الحداثة ، معهد اللغة العربية (الجزائر : العدد 2 لسنة 1993) ص 34.

القول الفصل والأدق هو أن اللغة وضع واصطلاح بين أفراد المجتمعات لحاجة المجتمع الانساني اليها، لإمكانه التعبير عما في مكنونه، فأوجد العلاقة بين الأشياء والمعنى بل بين اللفظ والمعنى فصورة الشجرة لا بد أن يضع لها لفظا أو رسما أو إشارة ، والرسم والاشارة ليس من الأمور العملية، إذا ما اخذنا اللغة بشكل عام ، فالتعبير لا بد أن يكون لفظا ومن هنا نشأت دراسة الدلالة فقسمها المنطقيون إلى عقلية ووضعية وطبيعية، والعقلية ما يقر بها العقل كوجود الأثر دليل على وجود المؤثر، والطبعية كالتثاؤب دلالة على النعاس.

وما يهمنا والذي شغل الباحثين على مدى التأريخ هو الدلالة الوضعية ، والدلالة الوضعية تنقسم إلى لفظية وغير لفظية، فأما غير اللفظية فهي ما تواضع عليها الناس كعلامات المرور وغيرها من الأمور التي تتعلق بالرسم والاشارة.

أما الدلالة اللفظية وهي موضوع بحثنا ، فهي تتعلق بالكلام فالكلام (إما أن يساق ليدل على تمام معناه، وإما أن يساق ليدل على بعض معناه، وإما أن يساق ليدل على معنى خارج عن معناه إلا أنه لازم له عقلا أو عرفا، ولكل قسم منها اسم اصطلاحي:

1 – دلالة اللفظ على تمام معناه الحقيقي أو المجازي (مطابقة)

2 – ودلالة اللفظ على بعض معناه الحقيقي أو المجازي (تضمن)

3 – دلالة اللفظ على معنى خارج عن معناه لازم له عقلا أو عرفا (التزام)

ومثال المطابقة قوله تعالى ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً))[1] فلفظة بقرة اسم جنس سيق ليدل على تمام ما وضع له، فأية بقرة كانت كافية لتنفيذ الأمر وهنا تسرع الدلالة إلى ذهن السامع دون التفكير لصورة أية بقرة[2] ويستفاد من هذا اللفظ تمام هذا المعنى وقد تم التطابق بين معناه وبين الفهم الذي استفيد منه.

والتضمنية كقول الطبيب للمريض عليك أكل الفيتامينات، فقد تضمن كلامه الفواكه والخضروات، فجزء المعنى فهم من ضمن المعنى المراد.

والدلالة الإلتزامية كقوله تعالى ((وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[3]

---

1 – البقرة / 67.

2 – الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة : ضوابط المعرفة وأصول استدلال المناظرة ط2 (دمشق :دار القلم 1988) ص 27.

3 – التغابن /14.

فإن قوله تعالى ((فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) الواقع في جواب الشرط يدل عن طريق الدلالة الالتزامية على أن الله يغفر لكم ويرحمكم إن عفوتم وصفحتم.[1]

ومما تقدم نفهم ان الدلالة قد طرق بابها منذ أقدم العصور لحاجة الانسان إلى الفهم، والوصول إلى ما يريد ، والتواصل مع الآخرين لتلبية حاجاته، ولو نظرنا إلى الدلالة وإن كانت غير لفظية للاحظنا الانسان في وادي النيل وفي وادي الرافدين وفي الصين وغيرها ترك بصماته التي تشعر بوجود دلالة لإفهام الاخرين، ومن يرى أن الإشارات الدلالية غير اللفظية مستحدثة فهو مشتبه في ذلك.

ولو قارنا آراء المناطقة وتقسيماتهم لهذا ، لوجدنا أن الدراسات الحديثة لم تكن تخرج من هذه الاطر، بل فتحت بابا أدق في تعريف الدلالة، كما أن المنطق أسس لهذا العلم، فلو أجرينا مقارنة بين ما كتبه المناطقة وبين آراء علماء اللغة المحدثين ، لوجدنا أن الأفكار وإن كانت متباينة ، ولكنها في نهاية الامر ترى الصلة بين اللفظ والمعنى. فنرى أن (طائفة أخرى من فلاسفة اليونان يرون أن الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعدو أن تكون اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس.

وتزعم هذا الفريق فيما بعد (ارسطو) الذي أوضح آراءه عن اللغة وظواهرها في مقالات تحت عنوان الشعر والخطابة، وبين فيها عرفية الصلة بين اللفظ ومعناه)[2].

وقد أثيرت نزاعات كثيرة حول قضية الصلة بين الالفاظ ودلالاتها و (من أشهر المعارضين لأصحاب الصلة بين الالفاظ والدلالات دي سوسير إذ يراها اعتباطية لا تخضع لمنطق أو نظام مطرد)[3].

إذ يرى أنها (بمثابة الصدى لأصوات الطبيعة ويقرر أنها من القلة في اللغات)[4]. ويبدو من خلال ما درسه علماء المنطق، ومن خلال تجربة الانسانية أن هذه الصلة قائمة ، ويمكن اجتماع عدة عوامل فيها لإمكانية معرفتها ، منها الاقرار الذهني أو المفهوم الذي بدوره ينقل صورة الاشياء إلى الذهن،

---

1 الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة : ضوابط المعرفة وأصول استدلال المناظرة ط2 (دمشق :دار القلم 1988) ص28.
2 – أنيس، ابراهيم / دلالة الالفاظ ، ص63.
3 – المصدر نفسه ص 70.
4 – المصدر نفسه ص.70.

فتكون صدى واستجابة لصوت من الاصوات تواضع عليه الناس، والدلالة ليست وليدة لحظة بل وليدة تجربة وخبرة وتكرير، فان كثرت أقوال علماء اللغة فهي لا تتعدى أن تصب في مصب واحد ، والدلالة (تحتاج إلى تجارب كثيرة يكون قد مر بها السامع، من قبل للإحاطة بظروف الكلام وملابساته، ولا يتم فهمه منها بغير الوقوف على تلك الظروف والملابسات التي لها صلة بالحدث، بل وصلة المتكلم بالسامع، هذا الاّ أن لنفسية كل متكلم وسامع دخلا في هذا الحديث، فهل من طبيعة المتكلم المغالاة والتشاؤم، وهل من طبيعة السامع حسن الظن بالناس أو التشكيك والريبة في سلوكهم)[1].

ومما تقدم يفهم أن واقع التعبير الدلالي يقف عند أمور لا بد منها، التجربة والخبرة والسماع، ووضع المستمع والسامع وحالتهما النفسية، وامكانية الوعي اللغوي مقارنا بالواقع الاجتماعي أو ثقافة السامع والمستمع، فالدلالة عند الطفل غير الدلالة عند الشاب والكبير، والدلالة عند الأمي غير الدلالة عند المتعلم، والدلالة عند المتخصص غير الدلالة عند غيره، وإلا أصبحت الدلالة اللفظية حالها حال الدلالة غير اللفظية الإشارية كما في علامات المرور وغيرها من العلامات غير اللفظية، وحتى هذه الدلالات لو قسناها بالمقاييس المنطقية لوجدنا أنها تحتاج إلى ما تقدم من عوامل لفهمها ، فكثير من الناس لا يفهم معاني الاشارات، فالقول بالدلالة اللفظية – أي دلالة اللفظ على المعنى – اعتباطية هذا رأي لا يعد ناهضا وإن كان صدر من كبار علماء اللغة، والواقع يثبت ذلك، والدلالة تحتاج إلى تأمل حتى ممن لا يدرك هذه الأمور، فلو صدر لفظ من المجنون مثلا فهل له دلالة يمكن أن يبنى عليها،

بالطبع لا، لان المتكلم لم يكن قاصدا ولم يترتب في ذهنه شيء يدل على وعي ما يقول. ولكن لفظه له دلالة عند الأخرين تحتاج إلى تأمل، لأن اللفظ لم يتفق عليه كل المجانين بل كل له لفظ خاص، فلو كان هذا الأمر اعتباطيا فلا ضرورة لوجود العقل.

وممن انتصر لعلاقة اللفظ بالمعنى (جيسبر سون) فقد (كان ممن ينتصرون لأصحاب المناسبة بين الالفاظ ودلالاتها، غير أنه من المغالاة في هذا، إذ يرى أن هذه الظاهرة لا تكاد تطرد في لغة من اللغات وإن بعض الكلمات تفقد الصلة على مر الايام)[2].

وما قاله (جيسبر سون) أمر طبيعي في كل لغة من اللغات، ولكن لا بد من القول بأن الأمر نسبي إذ لا يعقل أن تتغير دلالات ألفاظ اللغة كاملة أو بشكل يفقد صورة اللغة الأصلية.

وقد عولجت مثل هذه الظواهر في أبواب كثيرة كالنقل في اللفظ والاشتراك، وغيرها مما درسه علم المعاني أو المعاجم أو في دراسة المنطق في باب الدلالة اللفظية.

---

1 - أنيس، ابراهيم / دلالة الالفاظ ، ص44.

2 - المصدر نفسه / 68.

الفصل الثاني

الدلالة عند علماء الأصول

الدلالة عند علماء الأصول

لما من أهمية كبرى للدلالة، اتجه علماء الأصول لدراسة الدلالة وأفردوا لها بابا واسعا في الدرس الأصولي، أسموه مباحث الألفاظ، ومبحث اللفظ هو علم يهتم بأصل اللفظ ودلالته ودقة معناه وسياقه.

وقد جرت آراء ونزاعات كثيرة أثمرت كثيرا من النتائج والآراء التي تبناها علماء الأصول، في حل الإشكالات الفقهية وفهم المعنى ودلالته، وقد وردت تعريفات كثيرة وآراء كثيرة أيضا على مدى التأريخ أغنت الدرس اللغوي والأصولي.

حقيقة الدلالة: عبارة عن إراءة شيء لشيء من جهة ارتباط خاص بينهما، ناشئة عن الجعل تارة، أو قائمة بذاتها أخرى، وذلك أيضا تارة على وجه لا يكون الواسطة في ثبوتها إلا نفس ذاتها بلا دخل لشيء آخر فيه، وأخرى على وجه يكون بجهة خارجة من ذاتها، من مثل الطبيعة، أو شدة الأنس بينهما لكثرة استعمال أو غيره، ثم الطريق لاستكشاف هذا الربط تارة، هو العقل واخرى غيرها من سائر القوى الوجدانية، وعلى أية حال من هذه الطرق خارجة عن مقتضياتها وانما هي تنشأ لفعليتها بحيث لولاها لا اراءة له فعلا[1].

وقد درس هذا الباب بشكل مفصل يرتبط بالنظام العام للدلالة، ففي كل لغة علاقة بين الألفاظ ومجموعة المعنى ، ويرتبط كل لفظ بمعنى خاص ارتباطا يجعلنا كلما تصورنا اللفظ انتقل ذهننا فورا إلى المعنى، فالإنسان العارف بالعربية متى تصور كلمة (ماء) مثلا قفز ذهنه فورا إلى تصور ذلك السائل الخاص الذي نشربه في حياتنا الاعتيادية، وهذا الاقتران بين تصور اللفظ والمعنى، و انتقال الذهن من احدهما إلى الآخر هو ما نطلق عليه اسم الدلالة.

فحين نقول كلمة (الماء) تدل على السائل الخاص، نريد بذلك أن نتصور كلمة الماء، يؤدي إلى تصور ذلك السائل الخاص، ويسمى لفظا دالا والمعنى (مدلولا)[2].

وهذا الرأي يراه أيضا (دي سوسير) الذي (يبدو أنه حصر عناصر الدلالة في الدال والمدلول)[3].

ولكن الفارق أنه أهمل الموضوع، وإن كان معارضا لعلاقة اللفظ بالمعنى كما قدمنا في البحث، والتي عدها جزئية ، معترفا أن هناك علاقة بين اللفظ ولكن جزئية، فما نشاهده في حياتنا الاعتيادية أن هناك علاقات بين النار والحرارة، وبين طلوع الشمس والضوء، فكما أن النار تؤدي إلى الحرارة وطلوع الشمس يؤدي إلى الضوء ، كذلك تصور اللفظ يؤدي إلى تصور المعنى.

---

1 – العراقي، الشيخ أقا ضياء الدين : مقالات الأصول (قم مركز البحوث والدراسات 1998)ص33.

2 – الصدر، محمد باقر : المعالم الجديدة للأصول (النجف، مطبعة النعمان ، 1975) ص106.

3 – شامية،أحمد شامية : محاضرات وتطبيقات في علم الدلالة(الجزائر ، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية بوزريعة جامعة الجزائر) ص6.

ولهذا يمكن القول بأن تصور اللفظ سبب لتصور المعنى، كما تكون النار سببا للحرارة، وطلوع الشمس سببا للضوء (غير أن العلاقة السببية بين تصور اللفظ والمعنى مجالها الذهن. لأن تصور اللفظ والمعنى إنما يوجد في الذهن، وعلاقة السببية بين النار والحرارة أو بين طلوع الشمس والضوء مجالها العالم الخارجي)[1].

وهنا يجدر الإشارة إلى سؤال مهم، هو كيف تكونت العلاقة بين اللفظ والمعنى؟ وكيف أصبح تصور اللفظ سببا لتصور المعنى مع أن اللفظ والمعنى شيئان مختلفان كل الاختلاف؟

وقد ناقش محمد باقر الصدر آراء الأصوليين بل اللغوين في هذا الباب بعد أن كانت تحديدا الإجابات كالآتي:

1 – يرى الكثيرون أن دلالة اللفظ على المعنى دلالة ذاتية ليست مكتسبة من أي سبب خارجي، وقد رد هنا أن لو كانت العلاقة بين اللفظ والمعنى ذاتية غير نابعة من أي سبب خارجي فلماذا يعجز غير العربي عن الانتقال إلى تصور (كلمة الماء) عند تصوره الكلمة. ويتطلب تعلم اللغة العربية.

2 – وهناك اتجاه آخر يرى أن العلاقات اللغوية بين اللفظ والمعنى نشأت على يد شخص في كل لغة ، وهؤلاء استحدثوا الفاظا وتكلمت بها لمعان خاصة، وأصبح كل لفظ يدل على معناه، وهذا اطلق عليه علماء اللغة (الوضع) ويسمى الممارس له واضعا واللفظ موضوعا والمعنى موضوع له.

وقد رد محمد باقر الصدر على هذا الرأي قائلا (فنحن إذا افترضنا معهم أن علاقة السببية نشأت نتيجة لعمل قام به مؤسسو اللغة إذ خصصوا كل لفظ لمعنى خاص، قلنا أن نتساءل ما هو نوع هذا العمل الذي قام به هؤلاء المؤسسون؟ وسوف نجد أن المشكلة لا تزال قائمة ،لأن اللفظ والمعنى ما دام لا يوجد بينهما علاقة ذاتية ولا أي ارتباط وسبق، فكيف استطاع مؤسسو اللغة أي يوجدوا علاقة السببية بين شيئين لا علاقة بينهما وهل يكفي مجرد تخصص المؤسس للفظ وتعينه له سببا لتصور المعنى لكي يصبح سببا لتصور المعنى حقيقة)[2].

---

1 – الصدر، محمد باقر : المعالم الجديدة للأصول (النجف، مطبعة النعمان ، 1975) ص106.

2 – المصدر نفسه ص 107.

ثم يردف ذلك بمثال قائلا (كلنا يعلم أن المؤسس أو أي شخص آخر يعجز أن يجعل من الحبر الذي يكتب سببا لحرارة الماء، فكيف استطاع ان ينجح في جعل اللفظ سببا لتصور المعنى بمجرد تخصيصه دون اي علاقة سابقة بين اللفظ والمعنى)[1].

ومن أجمل الآراء وأدقها رأي محمد باقر الصدر في حل هذه المشكلة إذ يرى (أن العلاقة السببية التي تقوم في اللغة بين اللفظ والمعنى توجد وفقا لقانون عام من قوانين الذهن البشري. والقانون العام هو أن كل شيئين اذا افترض تصور احدهما مع تصور الآخر في ذهن الانسان مرارا عديدة ولو على سبيل الصدفة قامت بينهما علاقة وأصبح أحد التصورين سببا لانتقال الذهن إلى تصور الآخر، ومثال ذلك في حياتنا الاعتيادية أن نعيش مع صديقين لا يفترقان فاذا رأينا بعد ذلك أن أحد هذين الصديقين منفردا أو سمعنا باسمه أسرع ذهننا إلى تصور الآخر)[2].

(ونشوء هذه كلفظة كلمة (آه) كلما خرجت من إنسان كان دلالتها الألم، لأنها مرتبطة بذهنه بفكرة الألم وعلى هذا النحو تنشأ العلاقات بين اللفظ والمعنى)[3].

ويبدو أن هذا الرأي الذي تقدم يعد أدق الآراء في علاقة اللفظ والمعنى، وان كانت هناك آراء مر ذكرها للدكتور إبراهيم أنيس ، وهي أن كثرة التجارب التي يكون قد مر بها السامع ، وظروف الكلام وملابساته والوضع النفسي وغيرها والخبرة والتجربة عند غيره ، كل هذه العوامل وعوامل أخرى متعددة ومتعلقة بالبيئة وتكرير السماع ، آراء لا تخلو من دقة.

ومن خلال ما تقدم يبدو أن علماء الاصول قد دخلوا في هذا الخضم الواسع من البحث الدلالي ، فكانت آراؤهم أكثر دقة من غيرهم ، والسبب يعزى إلى دقة ما يبحثون عنه لعلاقته بعقائدهم ، وبفروع دينهم التي تتطلب فهم كل لفظ ومناسبته وسياقه ، وهذا قد لا يخوض فيه علماء اللغة ، لأن بعض الآراء لا تكون الاّ ترفا فكريا ، والفكر الأصولي عادة يفكر بالحلول التي تدفع المشكل الذي يواجه الفقيه وان كان احيانا لا يجد حلولا كافية.

---

1 – الصدر، محمد باقر : المعالم الجديدة للأصول (النجف، مطبعة النعمان ، 1975) ص106.

2 – المصدر نفسه / 108.

3 – المصدر نفسه.

الفصل الثالث

الدلالة تابعة للإرادة

الدلالة تابعة للإرادة

ومن أجمل التقسيمات التي ذكرها علماء الأصول ، التي استند فيها علماء الأصول إلى المنطقيين واخذوا برأيهم ، هو أنهم قسموا الدلالة إلى تصورية وتصديقية وهذا مما لم يلتفت إليه اللغويون رغم دقته.

1 - الدلالة التصورية: هي أن ينتقل ذهن الإنسان إلى معنى اللفظ بمجرد صدوره من لافظ ، ولو علم أن اللافظ لم يقصد ، كانتقال الذهن إلى المعنى الحقيقي عند استعمال اللفظ في معنى مجازي ، مع أن المعنى الحقيقي ليس مقصودا للمتكلم ، وكانتقال الذهن إلى المعنى من اللفظ الصادر من الساهي او النائم أو الغالط.

2 – الدلالة التصديقية: الدلالة أن المعنى مراد المتكلم اللفظ وقاصد لاستعماله فيه ، وهذه الدلالة متوقفة على عدة أشياء.

أ – على إحراز كون المتكلم في مقام البيان والافادة.

ب - على احراز أنه جاد غير هازل.

ج – على احراز أنه قاصد لمعنى كلامه شاعر به.

د – على عدم نصب قرينة على ارادة خلاف الموضوع.[1]

والحق أن الدلالة تابعة للإرادة ، واول من تنبه لذلك في ما نعلم الشيخ نصير الدين الطوسي لان الدلالة في الحقيقة منحصرة في الدلالة التصديقية ، والدلالة التصورية يسمونها ليست بدلالة وان سميت كذلك فانه من باب التشبيه والتجوز، لان التصورية من باب تداعي المعاني الذي يحصل بأدنى مناسبة.[2]

---

1 – المظفر ، محمد رضا : اصول الفقه 1ج (قم : مطبعة مكتبة الاعلام الاسلامي 1993) ص27.

2 – المصدر نفسه ص28.

الباب الثاني

الفصل الأول

السياق

السياق

قبل الخوض في الدلالة السياقية ، لا بد من الكشف عن معنى السياق و الآراء التي قيلت فيه ، و قد دارت نزاعات فكرية كثيرة في ابانة دلالة المعنى ، لان السياق في نظر اكثر علماء اللغة و الباحثين لا يمكن من دونه فهم دلالة الكلام.

السياق في اللغة

قال صاحب اللسان (و يقال له السياق و اصله سواق فقلبت الواو لكسرة السين و هما مصدران من ساق يسوق)[1]. و منه قوله تعالى ((وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ))[2]. و قيل في التفسير سائق يسوقها الى محشرها[3].

و قد وردت في القران الكريم بألفاظ مختلفة هي (نسوق ، سيق ، سائق ، يساقون ، المساق) و منه قوله تعالى ((وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا))[4]. و قد فسر المعنى (نحث المجرمين على المسير الى جهنم عطاشى كالابل)[5].

و قوله تعالى ((أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاء **إِلَى** الأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلا يُبْصِرُونَ))[6]. اي نسوق الماء (بالمطر و الثلج و قيل بالأنهار و العيون الى الارض الجرز اي اليابسة)[7]. و قوله تعالى ((وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا))[8]. و قوله تعالى ((وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا))[9]. و يفهم من الآية

1- ابن منظور، محمد بن مكرم الأنصاري : لسان العرب 11ج(بيروت ، دار صادر، 2004) مادة (س و ق) ص247.

2- ق /21.

3 - ابن منظور: لسان العرب 10ج مادة (س و ق) ص166.

4 - مريم /86.

5 - الطبرسي. أبو علي الفضل بن الحسن : مجمع البيان في تفسير القرآن ج 6 تحقيق السيد هاشم الرسول المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي (بيروت ، دار المعرفة بيروت 1986) ص820.

6 - السجدة /27.

7- الطبرسي ،مجمع البيان 522/8.

8 - الزمر /71.

9 - الزمر /73.

(يساقون مكرمون)[1]. و يفهم في الثانية (يساقون سوقا عنيفا)[2].

و في الصحاح يقال (ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحد بعضهم اثر بعض ، ليست بينهم جارية)[3].

ويبدو مما تقدم ان السياق يفيد النظم و التتابع ، و هذا ما اقر به المتقدمون و المتأخرون ، و قد يتفق المعنى مع معنى المفهوم الاصطلاحي للسياق ، و هنا يمكن ان نستعرض اراء علماء اللغة من تقدم منهم او تأخر، فنلاحظ من خلاله ان التعريف الاصطلاحي يبدو متقاربا.

السياق في المصطلح

بناء نصي كامل من فقرات مترابطة ، في علاقته باي جزء من اجزائه او تلك الاجزاء التي تسبق او تتلو مباشرة فقرة او كلمة معينة ، و دائما ما يكون السياق مجموعة من الكلمات وثيق الترابط ، بحيث يلقي الضوء لا على معاني الكلمات المفردة فحسب بل على معنى و غاية الفقرة باكملها.[4]

و يرى (فيرث* بان المعنى لا ينكشف الا من خلال تسييق الوحدة اللغوية ، اي وضعها في سياقات مختلفة و يقول اصحاب هذه النظرية في شرح وجهة نظرهم ، معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات اخرى. و ان معاني هذه الوحدات لا يمكن وضعها او تحديدها الا بملاحظة الوحدات الاخرى المجاورة لها)[5].

و يبدو ان اللغويين العرب المتأخرين ، صبوا جل اهتمامهم على السياق متأثرين بأستاذهم (فيرث) و هذا ما يلاحظ واضحا في ما كتبه الدكتور تمام حسان و الدكتور كمال بشر ، و يمكن حصر السياق اللغوي الذي اهتم به اللغويون بما يأتي:

1- الطبرسي ، مجمع البيان ج8 ص795.

2- المصدر نفسة .

3 - الجوهري، اسماعيل بن حماد ت :تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفور عطا (بيروت ،دار العلم للملايين 1991) باب القاف فصل السين .

4 - فتحي ، ابراهيم :معجم المصطلحات الادبية (تونس ، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، التعاضدية العمالية 1989) ص201،حرف (س).

5 - عمر ، أحمد مختار: علم الدلالة ط5 (بيروت ، عالم الكتب 1998)ص 69.

* فيرث عالم لغوي انكليزي توفي في الستينيات من القرن الماضي ، مؤسس المدرسة الانكليزية الاجتماعية في اللغة وقد كان استاذا لعدد من اساتذة اللغة في مصر ، هم ابراهيم أنيس وعبد الرحمن أيوب وتمام حسان وكمال بشر ومحمد أحمد ابو الفرج ، اشتهرت نظرية فيرث بأنها كانت قائمة على دراسة السياق .

1- الوحدات الصوتية و الصرفية و الكلمات التي يتحقق بها التركيب و السبك.

2- طريقة ترتيب هذه العناصر داخل التركيب.

3- طريقة الاداء اللغوي المصاحبة للجمل او ما يطلق عليه التطريز الصوتي و ظواهر هذا الاداء المصاحب المتمثل في النبر و التنغيم و الفاصلة الصوتية.[1]

و هذا ما اكده الدكتور تمام حسان اذ يرى ان المقصود بالسياق التوالي، و من ينظر اليه من ناحيتين اولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب و السبك و السياق في هذه الزاوية يسمى سياق النص.

الثانية: توالي الاحداث التي تصاحب الاداء اللغوي و كانت ذات علاقة بالاتصال و من هذه الناحية يسمى سياق الموقف.[2]

و لم تكن نظرية السياق نظرية حديثة كما زعم بعض الدارسين ، بل ان علماء اللغة اهتموا قديما و حديثا ، اذ رأوا ان للسياق اهمية في الوصول الى المعنى ، و هذه النظرية درست على مدى الازمان في الفكر الانساني (فقد كتب افلاطون في كتابه فيدروس عن مراعاة مقتضى الحال في الخطابة ، و عرض ارسطو في كتابه فن الشعر لموضوع مقتضى الحال ، و اشار الى ان الفكرة هي ايجاد اللغة التي يقتضيها الموقف و يتلاءم اياه و هذا يمكن رؤيته في ما تقدم في موضوع حصر السياق اللغوي.

فالسياق في احيان كثيرة يقوم بتحديد الدلالة المقصودة من الكلمة في جملتها و من قديم اشار العلماء الى اهمية السياق او المقام و تطلبه مقالا مخصوصا يتلاءم معه و قالوا عبارتهم الموجزة الدالة لكل مقام مقال ، فالسياق يتضمن داخل التعبير المنطوق بطريقة ما).[3]

1- صالح ، محمد سالم : اصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية (جدة ، كلية المعلمين جدة ، المكتبة الشاملة طبعة الكترونية http://shamela.ws/) ص134.

2 - حسان، تمام : قرينة السياق (جدة ،مطبعة عبير 1993) ص 375.

3- عبد اللطيف، محمد حماسة : النحو و الدلالة مدخل لدراسة المعنى النحو الدلالي (القاهرة ، دار الشروق للنشر والتوزيع 1983) ص98.

و هنا يجدر الاشارة الى ان علماء النحو قد اهتموا بالكلام و علاقته بالمخاطب ، و الحالة المحيطة به ، و العرب لم تغفل هذا الجانب بل اكدوا عليه و اهتموا به (واذا ما نظرنا الى المقال على اية حال يمثل السياق اللغوي، فإننا نجد البلاغيين قد اولوا عناية كبيرة و ليس ادل على ذلك من ربط العلامة عبد القاهر الجرجاني فصاحة الكلمة بسياقها اللغوي و التركيب الذي قيلت فيه حيث يقول (و جملة الامر انا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ، ولكنا نوجبها موصولة بغيرها ، و معلقا معناها بمعنى ما يليها فاذا قلنا في لفظة (اشتعل من قوله تعالى ((وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً))[1] انما هي اعلى مرتبة من الفصاحة ، لم توجب تلك الفصاحة لها وحدها ولكن موصولا بها الراس معرفا بالألف و اللام و مقرونا اليه الشيب منكرا منصوبا)[2] ، و قد ادرك عبد القاهر الجرجاني اهمية السياق و وضع له نظاما في نظريته المشهورة النظم و هذه النظرية يبدو انها المؤسسة للدلالة السياقية فهو يرى ان (النظم موجود في الالفاظ على كل حال و لا سبيل ان يعقل الترتيب الذي نزعمه في المعاني ما لم تنتظم الالفاظ ، و لم ترتبها على الوجه الخاص ، قيل ان هذا هو الذي يعيد هذه الشبهة و الذي يحلها ان تنظر: أن تتصور ان تكون معتبرا مفكرا في حال اللفظ من اللفظ متى تضعه بجنبه او قبله ، و ان تقول: هذه اللفظة انما صلحت هاهنا لكونها على صفة كذا ام لا يعقل الا ان تقول: صلحت هاهنا لان معناها كذا و لدلالتها على كذا و لان معنى الكلام و الغرض فيه يوجب كذا ، و لان معنى ما قبلها يقتضي معناها)[2].

و يرى ان امر (النظم في انه ليس شيئا غير توخي معاني النحو في ما بين الكلم ، انك ترتب المعاني اولا في نفسك ثم تحذو على ترتيبها الالفاظ في نطقك ، و انا لو فرضنا ان تخلو الالفاظ من المعاني لم يتصور ان يجب فيها نظم او ترتيب في غاية القوة و الظهور)[3]

1- مريم / 4.
2- حسان، تمام : مناهج البحث في اللغة ط2 (عمان ، دار الثقافة – 1974) ص.40
3- الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن : دلائل الاعجاز ، تحقيق أبوفهر محمود محمد شاكر (مصر ، مطبعة المدني ، مكتبة الخانجي ، 1984) ص 364
4- المصدر نفسه

و ما تقدم هو عين ما صرح به فيرث (بان المعنى لا ينكشف الا من خلال تسيق الوحدة اللغوية ، اي وضعها في السياقات المختلفة ، و يقول اصحاب هذه النظرية ان معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات اخرى ، و ان معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها او تحديدها الا بملاحظة الوحدات الاخرى التي تقع مجاورة لها)[1].

النزاعات حول السياق في المدرسة الغربية

لقد عرفت مدرسة لندن بانها اول من درست و اكدت المنهج السياقي في العصر الحديث ، و لكي لا يختلط الامر ، ان النظرية كانت موجودة ولكن بدأ وضعها و تقنينها على يد فيرث البريطاني ، الذي اكد السياق اللغوي ،فهو أول من جعل اللسانيات علما معترفا به في بريطانيا. وانصب اهتمامه على الأصوات الوظيفية والدلالة فيما عرف بالنظرية السياقية و كان الاصل هو التأثر بالمدرسة الاجتماعية ،(فقد عرفت مدرسة لندن بالمنهج السياقي، الذي وضع تأكيدا كبيرا على الوظيفة الاجتماعية للغة)[2]. و يبدو تأثر هذه النظرية بعلم الاجتماع ظاهرا ، فقد (ذكر ليتش* ان فيرث تأثر بنظريته السياقية بالأنثروبولوجي البولندي ب. مالينوفسكي ، الذي عرف عنه في دراسته للدور الذي تلعبه اللغة في المجتمعات البدائية انه يعالج اللغة كصيغة من الحركة)[3]

و يرى اولمان* ان (النظرية السياقية اذا طبقت بحكمة تمثل الحجر الاساس في علم المعنى)[4].

و يبدو ان اولمان من خلال كتاباته يرى ان السياق يتعدى الجملة او العبارة الى ابعد من ذلك الى سياق (النص) الذي اصطلح عليه في ما بعد. فهو يرى ان (السياق ينبغي ان يشمل لا الكلمات و الجمل الحقيقية السابقة و اللاحقة بل القطعة كلها و الكتاب كله)[5].

وقد قسم علماء اللغة الغربيون السياق الى قسمين ، السياق اللغوي و سياق الموقف ، و قد اضاف اليهما احد اتباعه و هو (جون ليونز)* السياق الثقافي.

1- عمر ، أحمد مختار ،علم الدلالة ص 69.

2 - المصدر نفسة ص68.

3- المصدر نفسة ص 71.

4 - اولمان، ستيفن/ دور الكلمة في اللغة/ 32 ترجمة كمال بشر (القاهرة : مكتبة الشباب ، 1988) ص82.

5 - المصدر نفسة ص26.

* جيفري ليتش لغوي بريطاني ولد 1928، مؤسس نظرية النحو التوليدي التحويلي.

* ستيفن اولمان استاذ علم اللغات فرع الدراسات الرومانية ، بجامعة ليدز في بريطانيا ،وقد عرف في البيئات اللغوية ،وفي فروع العلوم الانسانية وبخاصة الادب والنقد الادبي وعلم النفس وله دراسات كثيرة اشهرها كتابه (علم المعنى).

* جون ليونز من أهم اللغويين المعاصرين في بريطانيا اشتهر بعدد من الكتب في مقدمتها: علم اللغة التركيبي 1963، وعلم اللغة النظري 1968، وآفاق جديدة في علم اللغة 1970، وتشومسكي 1970، وعلم الدلالة 1977، واللغة وعلم اللغة 1981.

ولا يخفى ان سياق الموقف يتفق مع (المقام) فالعرب قالت لكل مقام مقال و هذا ما اقر به عبد القاهر الجرجاني بقوله (وجملة الامر انا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة للكلام الذي هو فيه ولكن نوجبها لها موصولة بغيرها ، و معلقا معناها بمعنى ما يليها)[1].

اما سياق الحال فهذا ما يرى ظاهرا عند علماء البلاغة اذ عرفوا البلاغة بمطابقة الكلام لمقتضى الحال ، و هذا ما لا يحتاج الى دليل ليؤكده ، فالتعريف الذي رآه علماء البلاغة يتفق بشكل كبير مع سياق الحال.

و قد اعترض على النظرية السياقية من ان فيرث لم يقدم نظرية شاملة ، للتركيب اللغوي ، و اكتفى بتقديم نظرية الدلالة ،مع ان المعنى يجب ان يركب من العلاقات السياقية ، و من الاصوات و النحو و المعجم و الدلالة.

كما ان فيرث لم يكن محددا في استخدامه لمصطلح السياق مع اهميته ، و كان حديثه عن الموقف غير واضح كما (ان هذا المنهج لا يوفر مصادفة كلمة ما عجز عنه السياق عن ايضاح معناه فلن تفيد الباحث الذي يريد ان يتتبع استعمالات الكلمة و استخداماتها العلمية في التغييرات المختلفة)[2].

و منهم من وازن بين النظريتين و أنصف الدلاليين و السياقيين، فهذا فندريس* يقول (ان الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في الجو، يحدد معناها تحديدا مؤقتا ، و السياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، بالرغم من المعاني المتنوعة التي من وسعها ان تدل عليه)[3].

و مما تقدم في البحث يبدو ان الاهتمام بالسياق ليس جديدا ، ولكن درس باتجاهات مختلفة ، و كان الميل الى الدلالة السياقية ، اكثر من الميل الى الدلالة اللفظية ، لان السياق يعد حجة المحتج و مقصد الفهم في المعنى ، فقد لا يجزي اللفظ عن المعنى المقصود ، الا بالقرائن او بالسياق ، لان اللفظ يحتمل اوجها بالتعبير ،كما انه يصل الى المتلقي بصور مختلفة ،فضلا عن ان الوضع الذي يساق به الكلام له اثر واضح ، و لذلك اولى علماء العربية الاهتمام به ، كما ان السياق درس في امم مختلفة و بالوان مختلفة.

1-الجرجاني ، عبد القاهر: دلائل الاعجاز ص364.

2 - عمر ، أحمد مختار/ علم الدلالة ص74.

3- المصدر نفسه.

* جوزيف فندريس (1875- 1960) من كبار اللغويين الفرنسيين الذي يرى أن تطور اللغة مستمر في معزل عن كل تأثير خارجي، يُعد أمرًا مثاليا لا يكاد يتحق في أية لغة،ومن اشهر كتبه (اللغة).

فاليونانيون اولوا الاهتمام به ، ولذا كان مثار اهتمام و جدل في الدراسات اللغوية الحديثة ، و يعد مصطلح السياق في الدراسات الحديثة من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق ، و ان كان يمثل نظرية دلالية من اكثر نظريات علم الدلالة تماسكا و اضبطها منهجا.[1]

ومما يؤكد ذلك ما قاله ابن جني من (أن العرب كما تعنى بألفاظها فتصلحها وتهذبها وتراعيها ، فإن المعاني أقوى عندها ، وأكرم عليها ، وأفخم قدرا في نفوسها)[2].

السياق عند علماء الأصول

اولى علماء الأصول أهمية كبيرة للسياق ، لما يرون أن اللفظ لا يمكن تفسيره بمفرده ، والأصوليون يتعاملون مع اللفظ بدقة متناهية ، لأن ذلك من أساسيات فهم النصوص التي تتعلق بالجانب العقائدي ، وما يتصل به من فروع تعبدية ، تشمل أمور الدين المتعلقة بالحياة كالقضاء والعلاقات الاجتماعية ، هذا من الباب الاجتماعي الذي لا بد من فهمه ، ومن باب آخر ما يتعلق في العبادة ودقتها التي لا تخلو من حاجة إلى فهم الكلام عموما ، والقرآن والحديث بشكل خاص ، ولذلك اهتم علماء الأصول في الخوض في هذا المجال ، ووضعوا له أبوبا مهمة في مباحث اللفظ وسياقه ، فضلا عن دراسة نشأة اللغة ، وكان جل اهتمامهم ينصب في الوضع ، والوضع مفهوم واسع لديهم ، إذ يتعلق الأمر بوضع اللفظ ونشأته وسياقه اللغوي ، وهذا ما فتح آفاقا في الدراسات الأصولية ، والدرس الاصولي يعتمد على جانبين مهمين ، الجانب اللغوي والجانب المنطقي لأنهم يهتمون بالمنطق في دفع الشبهات ، وقد بدأت الدراسات تتواصل إلى يومنا هذا ، فالبحث الأصولي لا زال مفتوحا ، والمكتبة العربية غنية بهذا الباب.

فعلماء الأصول اهتموا بالسياق للوصول الى المعنى الذي يكمن في النصوص الشرعية، وقد اهتموا بظاهر الكلام ، فالسرخسي يرى أن القرينة التي تقترن باللفظ من المتكلم وتكون فرقا ما بين النص والظاهر هي السياق.[3]

---

1 – حلبص، محمد يوسف : البحث الدلالي عند الأصوليين (بيروت ، عالم الكتب ، 1991) ص28.

2 – ابن جني، أبو الفتح عثمان : الخصائص ج1 تحقيق محمد علي النجار(بيروت عالم الكتب 1972) ص215.

3 – السرخسي،أبي بكر أحمد بن ابي سهل: أصول السرخسي ، تحقيق ابي الوفا الافغاني ج1(الهند لجنة احياء المعارف النعمانية 1993)ص164.

وقد أدرك علماء الأصول أن (ثمة نوعين من القرائن السياقية ، الأولى هي القرائن اللفظية ، والثانية هي القرائن المقامية ، وفهموا الأثر الذي تقوم عليه هذه القرائن في تحديد دلالة النص)[1].

ويرى محمد محمد صادق الصدر (أن السياق على قسمين سياق المعنى وسياق اللفظ ، أما السياق المعنوي فهو يمثل الاتصال والتماثل في مقاصد المتكلم والمعاني الذي يريد بيانها ، والاعراب عنها ، فاذا شككنا في أي مقصد من مقاصده ، أمكن جعل المقاصد الأخرى دليلا عليه لقرينة متصلة عرفية وصحيحة ، وهذه هي قرينة وحدة السياق التي تستعمل عادة في الاستدلال الفقهي والاصولي)[2].

أما السياق اللفظي (تناسقه العرفي في الذوق واللغة، بحيث لو زاد شيئا أو نقص لكان ذلك إخلال به، ومن ثم يكون ذلك قرينة كافية على عدم جودة وعدم معرفة من المتكلم)[3].

1– حلبص، محمد يوسف/ البحث الدلالي عند الأصوليين ص29.

2 – الصدر ، محمد محمد صادق : منة المنان في الدفاع عن القرآن ج1(قم: مؤسسة المنتظر ، مطبعة الكوثر ، 2011.) ص17.

3 – المصدر نفسه.

الفصل الثاني

المنهج السياقي والمفهوم النفسي

الدلالة والسياق ومثار النزاعات

المنهج السياقي والمفهوم النفسي

لم يغفل علماء العربية المنهج السياقي وتعلقه بالواقع النفسي، فالأثر النفسي يذكرونه دائما في واقع السياق- كما تقدم- عند ابن جني قوله (فإن المعاني أقوى عندها وأكرم عليها وأفخم قدرا في نفوسها)[1].

وهذا دليل على عدم إغفال الجانب النفسي في المنهج السياقي ، وقد ذكر الجرجاني في نظرية النظم ذلك قائلا فإن (تصور الالفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب)[2] ، وهذا منهج السياق بعينه ثم يعود فيرسم له صورة نفسية غير مفارقة لنظم النص قائلا (إن الالفاظ أوعية للمعاني فإنها لا محالة تتبع المعاني في مواقعها ، فإذا وجب أن يكون أولا في النفس ، وجب اللفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق)[3].

وهذا الرأي قال به ابن سينا أيضا ولكن في اللفظ ولم يذكر السياق – أي دلالة اللفظ – حيث رأى ابن سينا أن (دلالة اللفظ أن يكون ارتسم في الخيال المسموع ارتسم في النفس معنى ، فتعرف النفس هذا المسموع لهذا المفهوم وكلما أورده الحس على النفس التفتت الى معناه)[4].

وهذا الرأي عين ما جاء به علماء الدلالة الغربين ، ولكن غُفل عنه والأولى أن يذكر.

وقد ذكر (بالمر) أن العلاقة بين علم النفس واللسانيات مهمة إلى الحد الذي أدى إلى ظهور اللسانيات النفسية ، فالمدخل النفسي إلى اللغة يكمن مبدئيا في محاولة لفهم العمليات التي تمر بها اللغة في حالتي المتكلم والسامع)[5].

---

1 – ابن جني، أبو الفتح عثمان : الخصائص ج1ص215.

2- الجرجاني عبد القاهر : دلائل الاعجاز تحقيق أبوفهر محمود و محمد شاكر (القاهرة ، مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني 1984) ص451.

3 – 4 – المصدر نفسه ص 52.

5 – بالمر ، أف ار : علم الدلالة ترجمة مجيد الماشطة (بغداد ، مطبعة العمال د نشر الجامعة المستنصرية ، 1985)ص19.

الدلالة والسياق ومثار المنازعات

لا يخفى على الدارس والمتتبع ، أن هناك صراعات حول الاصطلاحين المذكورين ، وقد مر في البحث أن أكثر علماء اللغة يميلون إلى السياق ، وهذا لا يعني تركهم لدلالة اللفظ ، ولكن هناك من يتطرف في رأيه، فيرى أن لكل لفظ خاصية في الاستعمال ،ويغفل السياق (وقد ذكر مايو باي في كتابه أسس علم اللغة ص 44 أن علم الدلالة يختص بدراسة معاني الكلمات)[1].

ورأيه هذا يدل على رؤيا معجمية ضيقة للمفردة ، وحقيقة الأمر كما يراه السياقيون ، فهم يرون أن للألفاظ معاني مفردة خارج السياق ولها خصوصية معجمية ، وإن دخلت السياق كان لها المعنى نفسه أو غيره ، وهذه الحقيقة لا يغفل عنها أحد ، وأن المفردة كما يرى كل متتبع قد تشترك ، وقد يدخلها المجاز وقد تختلف من وضع إلى وضع ، وهذا الأمر لا يحل عقدته إلا السياق.

فلا بد أن تتوافر في السياق عدة عوامل لفهمه ، منها الموقف والحال والوضع النفسي وبيئة اللفظ وزمنه ، أما إذا درسنا اللفظ وإن كان في السياق مجردا مما ذكرناه ، فالأمر يصبح مستعصيا ، وقد لا نصل إلى المعنى المراد وقد يتعقد الأمر في الفهم.

ومن هذا أصبح السياق مثار جدل ومنازعات ، بل تمحورت الدراسات بأشكالها المختلفة حوله ، فنجد الأديب وعالم الأصول ، والفقيه والمنطقي ، والقانوني ، وعالم النفس وغيرهم قد اهتموا بالسياق للوصول إلى الحقيقة ، ومن هذا أيضا توسعت دائرة الدراسات السياقية وكان مبناها وقانونها عند علماء العربية فأنجبت نظريات ، كالنظم والدراسات القرآنية ، وكان السبب الأساس الذي يمكن أن يقال بأنه الحافز المباشر لدراسة السياق هو النص القرآني، لأنه يحمل ألوانا مختلفة كالتعبدية ، أو الاجتماعية ، أو ما يتعلق بالمفاهيم العلمية الحديثة.

ولا يمكن لأي دارس أن يحمل اللفظ على كل المحامل، إلا أنه ترك اللفظ مطلقا دون الخوض في أصل المفردة والمعجم ودلالتها يعني تطرفا أيضا ، فلا بد للدارس أن يؤكد معنى المفردة أولا خارج السياق ثم يضعها في السياق ليصل إلى النتائج المتوخاة من فهم النصوص ، والملاحظ أن آراء علماء العربية وآراء الغربين لا تختلف في نظرتها ، فيرى فندريس (أن الكلمة توجد في كل مرة تستعمل فيها في جو يحدد معناها تحديدا مؤقتا والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها)[2].

---

1 – عمر ، أحمد مختار: علم الدلالة ص 12.

2 – الجنابي ، سيروان عبد الزهرة ، وعيدان ، حيدر جبار: جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية (الكوفة : مركز دراسات الكوفة 2008) ص36.

ويلاحظ من خلال الدراسات أن هناك مفاهيم سياقية، تكاد تكون متفقة بين علماء اللغة القدامى والمحدثين ، ويمكن القول أيضا أن الأوائل أسسوا لهذا العلم ، ويبدو ذلك من خلال الدراسات المقارنة ، فدي سوسير مثلا يرى (اختيار الكلمة في العقل ثم اختيار الكلام المرتبط في هذه الدلالة ، وأن الكلمة تجد ذاتها لا تحمل دلالة إلا إذا ضُمت إلى كلمة أخرى تكوّن معها البناء أو التركيب ، وأن الكلمات المتفرقة لا معنى لها داخل التركيب إلا إذا اجتمعت في وحدات متداخلة ، وأن الكلمة لا تفصل الكلمة الأخرى عند الجرجاني إلا في حالة وجود دلالة تربط المعنى بمدلوله)[1].

ويبدو أن الرؤية السياقية عند الجرجاني ودي سوسير لا يمكن تجاوزها في فهم النص ، كما ان هذه الرؤية تبدو رؤية طبيعية فطرية لا تتحدد بزمان أو مكان ، بل الواقع في فهم مقصد الكلام هو الذي يقود إلى المفهوم السياقي ، وإلا قد يكون النظر إلى اللفظ منفردا دون غيره مما يعقد الفهم.

فواقع كل كلمة لا بد أن تساق مع غيرها وهذه الرؤية إنسانية فطرية لم تحدد بزمان أو مكان معين.

ولم يختلف ما قاله تشومسكي* عن سابقيه من الآراء فهو يرى أن (ثمة فونيمات* صوتية يربطها السامع والمتكلم ويجمعها في مورفيمات منتظمة تدخل كيان الجملة وفق معنى لغوي ، وهي ملكة ذاتية تخص متكلم اللغة الذي نشأ بصورة طبيعية في اللغة التي يتكلمها)[2].

---

1 – علي ، عاصم شحادة : قضايا الأصول التراثية المعاصرة في اللسانيات ، عمان: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني, العدد 79 لسنة 2010.

*الفونيمات : العناصر أو الأصوات المشكلة للكلمة.

2 – المصدر نفسه ، ص90.

* أفرام نعوم تشومسكي (ولد سنة 1928 في فيلادلفيا، پنسلفانيا) هو أستاذ جامعي مدى الحياة في اللغويات في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا. و هو صاحب نظرية النحو التوليدي، والتي كثيراً ما تعتبر أهم إسهام في مجال اللغويات النظرية في القرن العشرين .

.

الفصل الثالث

السياق ونظرية النظم

السياق والنظم

في ما تقدم من البحث ذكرنا أن كثيرا من علماء اللغة فضلا عن دارسي الدلالة، يرون أن هناك أوجه تقارب بين نظريتي النظم والسياق، وقد كتبت دراسات كثيرة في هذا الباب، ومنهم من يرى أن هناك اختلافا بين السياق والنظم.

فالسياق يختلف عن النظم بهذا الاعتبار، إذ أنه يبحث في الدلالات المعنوية الآتية في مساق واحد ، ومدى انسجامها في ما بينها ، بحيث تشكل قطعة موضوعية من الحقائق العقدية والتشريعية والكونية بما يحقق للإنسان درب الهداية والفلاح ، ومدى ترابط المعاني وتتابعها في طريق واحد لأجل الوصول إلى غاية محددة.

فالسياق يبحث في ترابط المعاني بألفاظها، وبهذا يظهر الفرق بين المصطلحين وبعبارة دقيقة موجزة، السياق هو علاقة المعنى بالمعنى والنظم هو علاقة اللفظ بالمعنى.[1]

وقد استُدل على الاختلاف بين السياق والنظم من قول الطبري إذ يقول (واشدها اتساقا على نظم الكلام وسياقه)[2] فقد أفرد او ميز الطبري بين السياق والنظم.

لعل ما يلفت النظر في الدراسات الحديثة، المتمثلة بالدراسات المقارنة هو الحيرة أو التعثر في التفريق بين السياق والنظم، وهذا مما ينجم عن عدم استقرار في التميز بين النظم والسياق.

فالسياق عند بعضهم لا علاقة له بالنظم ويختلف عنها اختلافا كبيرا ، وآخرون يرون ان لا فرق بين السياق والنظم ، ولهذا عدّوا نظرية الجرجاني في دلائل الإعجاز هي الرائد لتأسيس الدلالة السياقية وممن مال إلى هذا الرأي نعوم تشو مسكي الذي رأى (أن البنية العميقة بأنها الأساس الذهني لمعنى معين يوجد في ذهن المتكلم ويرتبط بتركيب جملي أصولي ، ويكون هذا التركيب رفدا وتجسيدا للمعنى ، وهي النواة التي لا بد منها بفهم الجملة وتحديد معناها الدلالي)[3].

وهذا يتقارب مع ما يراه عبد القاهر الجرجاني في دلائله فهو يرى أنه (لا يتصور أن تعرف للفظ موضعا من غير أن تعرف معناه ، ولا أن تتوخى في الألفاظ من حيث هي ألفاظ ترتيبا ونظما ، وإنك تتوخى الترتيب في المعاني وتعمل الفكر هناك ، إذا فرغت من ترتيب

---

1 – محمود، المثنى عبد الفتاح : السياق القرآني واثره في الترجيح الدلالي رسالة دكتوراه (الاردن:جامعة اليرموك 2005) ص17.

2 – الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير : جامع البيان في تفسير القران ج 3 تحقيق عبد الحميد هنداوي ط2 (بيروت : دار الكتب العلمية 2009) ص310.

3 – علي ، عاصم شحادة : قضايا الأصول التراثية المعاصرة في اللسانيات ،ص 83.

المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترتب بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها، ولاحقة بها، وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق)[1].

ورغم الخلافات التي أوردناها في التفريق بين السياق والنظم ،يرى الدكتور تمام حسان فيقول (ولعل أدنى محاولة لتفسير العلاقات السياقية في تأريخ التراث العربي إلى الآن هي ما ذهب إليه عيد القاهر الجرجاني صاحب مصطلح التعليق وقد كتب الجرجاني دراسته الجادة في كتابه [دلائل الإعجاز] تحت عنوان النظم)[2].

ومن هنا يبدو أن علماء العربية قد التفتوا إلى أهمية السياق ودراسته ، وكان لهم السبق في ذلك ولم تكن نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني نظرية عقيمة ، بل أولت الاهتمام ، وأحيت روح المعاني ، وطرحت الأفكار فكانت مثار جدل ، فالجرجاني يقول (ليس الغرض بنظم الكلم ان توالت ألفاظها في النطق ، بل إن تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي يقتضيه العقل)[3].

(ولقد دعم الجرجاني هذه النظرية من خلال تحليله للعديد من الامثلة من القرآن والشعر على السواء ، فعلى سبيل المثال يعتمد وجه الاعجاز في سورة هود الاية 44 في قوله تعالى ((وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ))[4] يعتمد اساسا على ارتباط الكلمات بعضها ببعض باسلوب لايمكن ان يبارى أو يحاكى ، وكيف ارتبطت الكلمة الاولى بالثانية والثانية بالثالثة والثالثة بالرابعة في نظام ثابت متكامل)[5]

---

1 – الجرجاني ،عبد القاهر : دلائل الاعجاز ج1ص93.

2 – حسان ، تمام: اللغة العربية معناها ومبناها ط5 (بيروت عالم الكتب ، 1986) ص185.

3 – الجرجاني ،عبد القاهر : دلائل الاعجاز ج1ص451.

4- هود :44.

5- نفيد كرماني / بلاغة النور ، جماليات النص القراني (بيروت منشورات دار الجمل بغداد 2008) ص49.

ولو قورنت نظرية النظم بما كتبه رولان بارت* في القرن التاسع عشر فهي قريبة مما انتهى إليه الفكر الإنساني.

وقد فتحت النظرية باب الخلاف بين المعتزلة والأشاعرة في تحديد مفهوم النظم وتطبيقه في دراسة إعجاز القرآن.

والبعض يرى أن نظرية النظم سبقتها نظريات للجاحظ والقاضي عبد الجبار ، ولكن هنا لابد من الإشارة إلى (أن نظرية النظم عند الجاحظ تولي اهتماما باللفظ ، ففكرة النظم عنده لفظية تعتمد على حسن الصياغة وكمال التركيب ، ودقة وتأليف اللفظ وجمال نظمه ولا عجب فقد كان شغوفا باللفظ وحسنه وبهاء رونقه حتى قدمه على المعنى)[1] فقد قال الجاحظ (والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وخير اللفظ ، وسهولة المخرج)[2]. وأما القاضي عبد الجبار فقد أوجز الرأي المعتزلي في النظم حيث يرى أن (المفهوم الاعتزالي لنظرية النظم الذي يعتبر أن التفاضل إنما هو نظم الألفاظ ، وإن المعاني لاتفاضل فيها كما صاغه الجاحظ من قبل)[3]

وهذا ما يبين أن هناك صلة وثيقة بين النظم والسياق ، لأن علماء العربية حين درسوا السياق كان هدفهم الأول هو فهم السياق القرآني ، ونظرية النظم في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر اتخذت المنهج نفسه، في الوصول إلى المفهوم القرآني ، ولا مبالغة في القول لو قيل أن النظرية اتجهت في الاتجاه نفسه.

---

1 – فتحي ، احمد عامر: فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القرآن الكريم / 54 / (مصر : المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية 1975) ص 54.

2 – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر: كتاب الحيوان ج 3 ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط 2 (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده 1965) ص131.

3 – أحمد ، عبد الرحمن بن حسن العاكش : النظم القرآني بين المعتزلة والاشاعرة (ابها : كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد 2006) ص8.

* رولان بارت : 1915 - 1980 (Roland Barthes) فيلسوف فرنسي، وناقد أدبي، دلالي، ومنظر اجتماعي. واتسعت أعماله لتشمل حقولاً فكرية عديدة. أثر في تطور مدارس عدة كالبنيوية والماركسية وما بعد البنيوية والوجودية، بالإضافة إلى تأثيره في تطور علم الدلالة.

الفصل الرابع
أنواع السياق

أنواع السياق

للسياق الدلالي بشكل عام أنواع عددها الدارسون في هذا العصر، بأربعة أنواع، ومنهم من أطلق عليها شعب السياق[1] كالدكتور أحمد مختار عمر ومنهم من أطلق عليها أنماط السياق، ولكن إن اختلفت التسمية فالمعنى واحد.

وهذه الأنواع أو الأنماط هي مثار جدل الدارسين على مختلف العصور ، إلا أنها وردت بصيغ مختلفة ، فالسياق دُرس منذ عصور متقدمة عند العرب وبالأخص عند علماء اللغة والبلاغة ، ومما كان له الأثر الواضح والأهم هو دراسة السياق القرآني ، إذ أن التوجه لدراسة السياق كان من الأمور المسلم بها لفهم المعنى ، وإلا فدراسة اللفظ لم تف بالغرض ، ولذلك إعتاد علماء التفسير أن يجدوا حلا للنص القرآني وفهمه والتفكر به ، من خلال اعتماد السياق ، أما الدراسات اللفظية الدلالية فكان لها نصيب ،ولكن الأوسع والأدق هو دراسة السياق ، وأنواع السياق هي كالآتي:

1-السياق اللغوي

هو فهم النص ودراسته من خلال استعمال المفردة في داخل نظام الجملة ، وعلاقتها بما قبلها أو بعدها ، فالرجوع إلى المعجم في فهم اللفظ قد لا يسعف في الجملة، لأن اللفظ في الجملة له استعمالات كثيرة ، تتعلق بوضع المفردة وفهمها من كافة الجوانب لغة ودلالة ، و (المعنى الذي يقدمه السياق اللغوي هو معنى معين لحدود واضحة وسمات محددة قابل للتعداد والاشتراك أو التعميم)[2].

ومن هذا فالمشترك اللفظي له سياقات لغوية مختلفة، كل منها يحدد معنى معينا في الجملة ، فكلمة (عين) تعني الناظرة والجارية والحارسة والجاسوس، فعندما نقول دمعت عين اليتيم فنعني الباصرة.

ونقول تلك عين جارية فنعني الماء

ونقول هو عين للأمير فنعني جاسوس الأمير

فاستعمال المفردة في السياق أعطى دلالة محددة في كل جملة من الجمل المتقدمة ، فالسياق اللغوي ينظم العلاقات الدلالية بين اللفظ مع غيره ، وهذا لا يقتصر على اللفظ المشترك ، بل على كل لفظ من الألفاظ ، وقد لا يكفي السياق اللغوي لفهم المعنى الدلالي ،

---

1 – عمر، أحمد مختار: علم الدلالة ص69.

2 – عون ، نسيم: الألسنية محاضرات في علم الدلالة (بيروت ،دار الفارابي ،2005) ص159.

بل قد يشترك مع أنواع أخرى من السياقات للوصول إلى المعنى الدلالي ، فلو قلنا مثلا عين في الجبل ، فقد تحتمل احتمالين في المعنى السياقي إما عين جارية أو عين جاسوس ، وهنا لا بد من الاستعانة بسياق الموقف، الذي سنفصّله في ما بعد لفهم الدلالة السياقية في الجملة ، وإلا اختلطت المعاني وضاع فهم المقصود ، فالسياق اللغوي يكشف بشكل جلي عن العلاقات الدلالية وبخاصة بما يتعلق باللغة.

ومن هنا نستفيد من أمر آخر و هو أن الدلالة السياقية يمكن الوصول إليها إما مباشرة من خلال السياق ، أو بطريقة غير مباشرة من خلال القرائن ، وهناك تفسيران لهذا الأمر أوله ان لكل دلالة لفظية كانت أو سياقية مفهوما أوليا يسرع إلى الذهن دون التأمل في وضع المفردة أو السياق ، والذهن هنا وظيفته الجمع بين الألفاظ أو المعلومات لإيجاد معنى دلالي واضح.

ومن هنا لا يمكن القول بأن السياق هو وحده القادر على الإفصاح عن المعنى الدلالي ، بل كل ما يحتويه يشارك في الفهم الدلالي ، فإن قلنا أن دلالة اللفظ تكفي فقد بالغنا في ذلك ولا يمكننا الوصول إلى الفهم ، وإن قلنا من خلال السياق مباشرة فليس كذلك أيضا ، بل لا بد من الوصول إلى المعنى بعدة عوامل منها دلالة اللفظ ، وحكم اللفظ في المعنى ودلالة الرابط والسياق ، وهناك لغات تعتمد الرابط بشكل أساس ، وفي لغتنا قد لا يكون الرابط لفظا بل معنى ذهنيا كالجملة الإسمية ، فلو قلنا في العربية (الكتاب جميل) هذا لا يصح في لغات أخرى دون فعل مساعد ، فلا بد من القول في غير العربية (الكتاب يكون جميلا) ، وهذا مما يؤثر في السياق ، فسياق اللغة يتطلب فهم طبيعة اللغة نفسها.

كما أن السياق اللغوي قد يكون له عدة تفاسير ، يمكن أن نطلق عليها التفسير الأولي وهو التفسير الذي يسرع إلى الذهن ، ويقسم إلى التفسير الدلالي اللفظي الذي يعطي تفسيرا أوليا للمفردة ، وهو فهم أولي ، والفهم الأولي للسياق قد لا يؤدي إلى فهم المقصود فهما صحيحا، فكثير من السامعين يشتبهون في الفهم رغم قصدهم السماع.

والثاني هو التفسير السياقي وقد يتطلب تفسير السياق مراحل ، تعتمد أيضا على السمع كأن يسمع أحدهم جملة غير مكتملة فيتبادر إلى ذهنه فهم دلالي قاصر ، ثم إذا استعملها بشكل يصل الفهم الدلالي إليه بطريقة أخرى ، والفهم الدلالي اللغوي أيضا يختلف من ذهن إلى ذهن ومن شخص إلى آخر ، فالطفل غير الكبير ، والمثقف يفهم بما يمليه عليه مستواه الثقافي وهكذا، ومما يؤيد ذلك قول برتراند راسل* (أن الكلمة تحمل معنى غامضا لدرجة ما ولكن المعنى يكتشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله ، والاستعمال يأتي أولا ، وحينئذ يتقطر المعنى)[1].

---

1 – عمر ، أحمد مختار :علم الدلالة ص 72.

* برتراند أرثر وليام رسل (1872 - 1970) فيلسوف ورياضي وكاتب إنجليزي يعد من أعظم الفلاسفة حصل على جائزة نوبل عام 1950 يعدّ من أشهر فلاسفة القرن العشرين، كما وُصِف بأنه أهم علماء المنطق الذين ظهروا منذ عصر الفيلسوف الإغريقي أرسطو.

2 - السياق العاطفي

هو السياق الذي يتولى الكشف عن المعنى في الوجدان، ويختلف من شخص إلى آخر.[1]

وغالبا ما يعتمد هذا النوع من السياق على طبيعة المتكلم ، فالكلام هو السبيل الواضح لإبراز عاطفة المتكلم ، فينعكس على أدائه وتعبيره فيبين نوع الدلالة قوة وضعفا وانفعالا ، فإذن هذا السياق (يحدد درجة الوقوف والضعف في أفعال المتكلم بما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا)[2].

والسياق العاطفي هو الذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة ، هل هي مستعملة استعمالا موضوعيا ، أم مستعملة استعمالا عاطفيا ، يقول مابيه في هذا الصدد (واللفظة بعد تحمل معنى عقليا فحسب بل تحمل أيضا في الغالب لونا من ألوان الإحساس فكلمة جُنينة ليست فقط حديقة صغيرة ، ولكنها حديقة صغيرة لها في النفس حنو ، وكلمة قصر ليست فقط منزلا واسعا بل يضاف إلى ذلك إحساس وإعجاب تشعر به نحو مقر الأمراء)[3].

وقد التفت علماء البلاغة إلى هذا المعنى من خلال الأغراض التي بينوها في سياقات الكلام ، وبما أن اللغة لها علاقة وثيقة بإدراك الإنسان ، فلا يمكن إغفال الجانب العاطفي في السياق الدلالي العاطفي ، وهذا ما أكده تشوميسكي وقد قورن كلامه بعبد القاهر الجرجاني ، فاللغة (ترتبط عند تشومسكي كما هو الحال عند عبد القاهر الجرجاني بالعقل إذ غالبا ما يرتبط تعريفه لها بالإدراك حسب تعبيره ملكة اللغوية خاصة راسخة تحول الخبرة إلى قواعد ومن هنا فإن دراسة اللغة تساعد على دراسة الادراك عند الإنسان)[4].

وهنا لا بد من الدارس أن يلتفت إلى أمرين مهمين عند دراسة السياق ، وهما طريقة الكلام وأدائه ونبره وحالة المتكلم النفسية ، ولكي لا يختلط الأمر بسياق الموقف ، هنا لا بد من النظر إلى سر دور اللفظ الذي يستعمله في السياق ، وأثره العاطفي الانفعالي ، لا معناه المعجمي ولا موقفه حال الاداء ، وتمييز هذا الأمر يعتمد على حس المتكلم الذي يولد تلك العاطفة الذي يستشعرها حال أدائه المفردة واستعمالها في السياق وهذا الأمر يمكن الالتفات اليه من خلال الاشارة.

---

1 – عوض ، فريد :علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية 1999) ص 159.

2 – عمر ،احمد مختار: علم الدلالة ص 70 ، 71.

3 – فتحي ، ابراهيم : معجم المصطلحات (مصر : باب اللوق ، دار شرقيات للنشر ،2000) .

4 – زكريا ، ميشال: الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، 1982) ص71.

فالسياق العاطفي يمكن القول بأنه (هو الانفعالية المرتبطة بمستوى القوة والضعف والتفاعل والتأكيد والمبالغة ، والذي يحدد طبيعة استعمال الكلمة بين دلالته الموضوعية التي تفيد العموم ودلالته العاطفية)[1] التي تفيد الخصوص (فيحدد درجة القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا)[2].

كما تكون طريقة الاداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية ، كأن تنطق وكأنها تمثل معناها تمثيلا حقيقيا ، ولا يخفى ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إيراد المعاني الانفعالية.

إن هذا الدرس الدلالي الذي يرى ويؤكد هذا النوع من السياق ،هو حقيقة غير مخفية في منهج البحث ، وإن كان البعد الموضوعي لدراسة هذه الدلالة يبدو واضحا من خلال المشاهدة والاستماع وطريقة التعبير والأداء، فلم يغفل هذا أيضا حتى في الدراسات الاثنوجرافية*، والتركيز على المعنى ، وقد رأى مالينوفيسكي* أن (ادراج اللغة في الدراسة الاثنوجرافية والتركيز على المعنى في حل مشكلات البحث الميداني وفي هذا يقول: لفهم أية كلمة علينا أن لا نكتفي بمشاهدتها في سياق عبارتها اللغوية فقط وانما يقتضي ذلك الوقوف على سياق الحياة الوطنية ، وعلى الملاحظ الاثنوجرافي ان يقرأ النصوص داخل الحياة القبلية الوطنية)[3].

اذن في هذا النوع من السياق أي العاطفي ، لا بد من الالتفات إلى هذا النمط ودراسته دراسة موضوعية ، مبنية على أساس الدراسات الحديثة التي لا تخلو من مفاهيم اجتماعية او نفسية ، فهذا الأمر يظهر جليا عند دراسة النصوص أو الخطاب ، ففي النص يستشعر كل منا انعكاس الدلالة على الواقع النفسي للمتكلم ، ويبدو ذلك أكثر وضوحا في الخطاب لان الخطاب يصاحبه حركة انفعالية ، ونبرة صوتية ، وطريقة اداء المفردة هي الكفيل بتحديد نوع الدلالة.

---

1 – قدور، أحمد محمد: مبادئ اللسانيات ط2 (دمشق : دار الفكر ،1999) ص297.

2 –عمر، أحمد مختار: علم الدلالة ص 72.

3 – هنسون ، هيلازي/ الانثروبولوجيون الاجتماعيون واللغة ، ترجمة محمود حمدي عبد الغني (الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية ، 1999) ص102 .

* الإثنوغرافيا: الدراسة "الوصفية" لأسلوب الحياة ومجموعة التقاليد، والعادات والقيم والأدوات والفنون، والمأثورات الشعبية لدى جماعة معينة، أو مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة .

* برونيسلاف كاسبر مالينوفسكي (1884- 1942), عالم بولندي مختص بعلم الإنسان ويعد من أهم علماء الإنسان في القرن العشرين, وهو من أهم الرواد في علم الإنسان التطبيقي .

3 - سياق الموقف

هو السياق الذي يهتم بمراقبة العلاقات الزمانية والمكانية التي يحدث فيها الكلام وكانت (البدايات الأولى لنشأة فكرة سياق الحال عند بلوم فيلد* 1887 إلى 1949 الأمريكي رائد السلوكية وهي إحدى أكبر المدارس اللغوية الوظيفية ، التي ترتكز على الجانب النفسي والمادي وترتبط الدلالة والسياق بهذا الجانب ، ويرى هذا المنهج ان لا قيمة للألفاظ تذكر خارج استعمالها وتداولها)[1].

وان فكرة سياق الحال (فكرة قديمة أحياها فيرث فهي فكرة تنبه إليها افلاطون وعلماء البلاغة العرب ، غير أن فيرث استطاع أن يصوغ منها نظرية علمية ، وهي إن التقت في بعض جوانبها مع آراء القدماء إلا أنها تختلف من حيث المنهج والتطبيق والتحليل)[2].

ويرى فيرث أن سياق الموقف مصطلح واسع لا يقتصر على السياقات اللغوية ، بل هو حقل من العلاقات ، علاقات بين أشخاص يقومون بأدوارهم في المجتمع مستعملين في ذلك لغات مختلفة ومرتبطين بحوادث واشياء متنوعة لها اتصال وثيق بالمقولة المستعملة ، وتأثير الحدث اللغوي (وسياق الموقف أو سياق الحال عند فيرث ، هو نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام وسياق الحال يشمل أنواع النشاط اللغوي جميعا كلاما وكتابة ، غير أن بلومفيلد السلوكي حدد سياق الحال بظواهر يمكن تقريرها في اطار من الاحداث العلمية ، وهو عنده مادي ، ولهذا نجده يتجاهل حقائق لها شأن بالكلام)[3].

وسياق الموقف يتكون من ثلاثة عناصر هي:

1 – شخصية المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام ودور المشاهد في المراقبة والمشاركة.

2 – العوامل والاوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة بالحدث اللغوي.

3 – اثر الحدث اللغوي في المشتركين كالإقناع او الفرح او الالم او الاغراء.

---

1 – مصطفى ، عواطف كنوس : الدلالة السياقية عند اللغوين (لندن : دار السياب ، 2007) ص195.

2 – خليل ، حلمي: العربية وعلم اللغة الحديث دراسة في الفكر اللغوي الحديث(مصر : دار المعرفة الجامعية ، 2006) ص132.

3 – حسان، تمام : الأصول (الدار البيضاء ، دار الثقافة ، 2009) ص33.

* عالم لغة امريكي وأحد أهم الرواد في مجال اللغويات البنيوية في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين. من أعماله المهمة التي أحدثت أثراً كبيراً في فهم اللغة وطبيعتها في ذلك الحين كتابه الذي أطلق عليه عنوان (اللغة) عام 1933وقد قدم وصفاً شاملاً للغويات البنيوية في أمريكا.

ويمكن الايضاح من خلال الامثلة الآتية ، فلو تأملنا في الفعل (أكل) في الأمثلة الآتية نلاحظ

1 - ((وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ))[1] وهنا أكل بمعنى التغذية

2 - ((وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ))[2] وهنا بمعنى الافتراس

3- ((أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ))[3] وهنا بمعنى الغيبة

وقد اهتم علماء العربية القدامى بسياق الموقف، ولكن اصطلحوا عليه بالمقام، فالعرب كانت تراعي مواقف الكلام حتى اشتهر بينهم (لكل مقام مقال) وهذه المراعاة تعني فهم بيئة المتكلم، التي يطلق الكلام فيها فضلا عن الظرف الاجتماعي، ومراعاة كل ما يتعلق بالكلام من حقيقة أو مجاز ، وهنا لا بد من مراعاة المناسبات التي يطلق فيها القول (ولا يتم التفاهم في أية لغة إلا إذا روعيت تلك المناسبات ، وأخذت العلاقة بين أصحابها بنظر الاعتبار ، ولن يكون الكلام مفيدا ولا الخبر مؤديا غرضه ما لم يكن حال المخاطب ملحوظا، ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء والقبول)[4].

ومن هنا يتبين أن السياق يعتمد على معيارين أساسيين، هما المقام وهو الموقف أو الحال وهذا ما يبدو واضحا من خلال ما تقدم، والمقال هو (النص).

(وفكرة المقام هي أساس ما يسمى في ميدان الدراسات اللغوية المعاصرة علم الدلالة الوصفي وهي كذلك المحور والجوهر لما يسمى بنظرية الاتصال)[5].

وفكرة سياق الحال (هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة الوصفية، في الوقت الحاضر وهو الاساس الذي يبنى عليه النسق، او الوجه الاجتماعي وهو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والاحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة اداء المقال)[6].

ومما تقدم يتبين لنا أن لسياق الموقف الاثر الواضح في الفهم الدلالي ، وقد عُبّر عن الموقف بطرق مختلفة كما قدمنا ، منها المقام والحال وكانت اصطلاحات المتقدمين ، هي العامل الاول الذي أسس لسياق الحال ، ثم تبعتهم الدراسات الحديثة آخذة بنظر الاعتبار أهمية الموقف.

---

1 – الفرقان / 7.

2 – يوسف / 13.

3 – الحجرات / 12.

4 – المخزومي ، مهدي : في النحو العربي نقد وتوجيه ط2 (بيروت : منشورات الرائد العربي ، 1986) ص225.

5 – طبل ، حسن :عالم المعاني تأصيل وتقديم (مصر : مكتبة الايمان ،) ص18.

6 – حسان، تمام : الأصول ، ص41 -42 .

4 - السياق الثقافي

هو سياق يقتضي تحديد المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة ، فاستعمال كلمة (عقيلته) يدل على طبقة اجتماعية عالية لان العامة تستعمل كلمة زوجته ، واذا اخذنا كلمة (جذر) فعند المزارع معنى ، وعند اللغوي معنى آخر ، وفي الرياضيات قضية أخرى.

فالسياق الثقافي يحدده الواقع الاجتماعي، ومفاهيمه مختلفة باختلاف الطبقات.

ولو تأملنا المثال الذي ذكره أحمد مختار عمر وهو كلمة (جذر) يختلف تفسيره تبعا لاختلاف الطبقات ، نرى مثاله هذا لفظيا وليس سياقيا ، فلو وضعنا الكلمة في سياقها لكان مفهومها متفقا رغم اختلاف الطبقات لان السياق تتخلله القرائن ، كما أن اللفظ مشترك على أية حال ، فكيف يفهم بدلالته اللفظية ، وهذا ما يمكن اطلاق المفهوم الاولي عليه.

ويعد السياق الثقافي ركيزة أساسية في عملية الترجمة خاصة ، إذ لا يمكن الاستغناء عنه بل يجب على المترجم أن يأخذ بعين الاعتبار السياق الثقافي للنص المترجم حتى يقارب الصواب في ترجمة محتواه ، لان الترجمة صعبة للغاية سيما اذا تعلق الامر بالنص المقدس ، أو بالنص الادبي أو بالنص الفلسفي.

فاذا اعتمد المترجم الترجمة الحرفية في اللغة لا يصل الى المعنى المنشود، إلا بالاعتماد على السياق الثقافي ، وعليه فاللغة استعمال ، والمعنى يدخله الغموض ويكون بعيدا عن السياقات المختلفة ، ولكن ما ان يسبق الكلام حتى يتقطر المعنى فيه ، وينجز السياق الثقافي بالديناميكية المحركة لتعدد المعنى.

وليس السياق الثقافي مجرد الفاظ ساكنة ، وانما متوالية لا نهائية من المعاني لأنه يتصل بثقافات اخرى.[2]

---

1 – عمر، أحمد مختار: علم الدلالة ، ص71.

2 – يوسف ، عبد الفتاح أحمد : قراءة النص وسؤال الثقافة (عمان : عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، 1999) ص31.

وللسياق أنواع أخرى منها ما هو سياق عام- مر ذكره- وسياق آخر اختص بالنصوص القرآنية، وقد اصطلح عليه الدارسون بأنواع مختلفة هي:

1-السياق المكاني

هو سياق الكلمة في الجملة ، أو الجملة داخل النص ، هذا بشكل عام ،و قد اشتهر هذا النوع من السياق بالقرآن الكريم ، حيث تبنى على اساسه العلاقات بين اللفظ وغيره في داخل الجملة او الجملة في النص ، وقد اهتمت الدراسات القرآنية بهذا المعنى لإيضاح المفاهيم التي تكمن وراء الآيات القرآنية ، أو السور بشكل عام للوصول إلى المعنى، ومن هنا اهتمت دراسة السياق المكاني بدراسة الآيات في ما بينها ، وعلاقات المتقدم منها بالمتأخر ، وعلاقة السور في ما بينها ، ولم تكن هذه الدراسة حديثة بل ظهرت في أزمان متقدمة.

2 - السياق الزمني للجمل والكلمات

وهذا ما قام به المفسرون وعلماء البلاغة واللغة ، ولم يختص هذا السياق بعصر دون عصر ، بل كانت ضرورته قديمة ، وقد عرف أيضا بدراسة المقام ،التي أصبحت في ما بعد بالدراسات الحديثة بسياق الموقف أو السياق التاريخي ، وقد اهتم هذا النوع من السياق بزمن الآيات أو التنزيل بحسب الترتيب.

3 - السياق الموضوعي

وهو السياق الذي يختص بدراسة الالفاظ او الجمل وعلاقاتها بحسب الموضوع الذي يجمعها ، وهذا ما اهتم به الكثيرون ووضعت له دراسات ، وقد اشتهرت الدراسات الحديثة بدراسة الموضوع ، وقد تحصل هذه الدراسات بحسب الاختصاصات ، فالفقيه يهتم بالجانب الفقهي أي بالموضوع الفقهي ، ومنهم من يهتم بالموضوع العلمي ، ومنهم من يهتم بالجوانب العلمية الحديثة في القرآن الكريم ، والبحث عن المعنى الدلالي في هذا النوع من السياق يدفعه التخصص والحاجة.

4- السياق المقاصدي

هو فهم الجملة بما تحمله من الباعث في القول أو النية أو المقصد في القول ، وقد ضرب ابن خلدون مثلا في قوله تعالى ((إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا))[1]

ويقول ابن خلدون (ما يذكره الفقهاء في تعليل الاحكام الشرعية بالمقاصد في أن الزنا مخلط للإنسان مفسد للنوع وان القتل ايضا مفسد للنوع وان الظلم مؤذن بخراب العمران)[2].

5- السياق التاريخي

هو فهم النص ودراسته بحسب الاهداف التاريخية القديمة وقد كان لهذا النوع من الدراسة اهمية في فهم النصوص القرآنية وسياقاتها الزمنية. .

(إن فصل النص عن سياقه التاريخي الذي وجد فيه هو بمثابة قطع شريان الحياة عنه، فكل النصوص كتبت بلغة خاصة واهتمت بعناصر ثقافية معينة، وذلك لأن اللغة بحد ذاتها؛ هي عنصر من عناصر الثقافة لدى الأمم، ولهذا؛ فمن أجل فهم نص معين؛ لزم معرفة ثقافة البلد الذي نما وتطور فيه هذا النص، والإلمام الكامل بمفاصل اللغة التي هي بمثابة أحد أغصان شجرة الثقافة؛ هذا الغصن الذي نضج عليه النص كما تنضج الثمار على الأشجار، وفي غير ذلك فمن الصعب فهم النص بشكل صحيح.

وعندما نقول: السياق التاريخي فهو يشمل: الأحداث المؤثرة، والأسباب والدوافع وراء ظهور النص، والأرضيات الثقافية واللغوية.

واشتراط قراءة النص بسياقه التاريخي يعني؛ أن من يقوم بعملية القراءة قد يحصل مع عدم الالتفات إلى السياق التاريخي والثقافي الذي ظهر فيه النص على فهم آخر لهذا النص يختلف عن الفهم الذي يحصل عليه فيما لو قرأ النص في سياقه التاريخي، وبالتالي يؤدي ذلك إلى الإرباك في فهم النص)[3]. ومن هنا يعد السياق التاريخي الكاشف الذي مما لاشك فيه ، والممهد الكبير لفهم النص ، ولذا كان لأسباب النزول الاهمية الكبرى لفهم النص .

1– الاحزاب / 72.

2– ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد : مقدمة ابن خلدون ج1 تحقيق عبد الواحد وافي (القاهرة : مطبعة النهضة2004) ص328.

3– نجاد ، علوي حيدر . فهم النص في سياقه التاريخي (قم : مجلة البصائر العدد 39 سنة 2006) ص11.

الباب الثالث

الفصل الأول

المعنى الدلالي للفظ القرآن في السياق

المعنى الدلالي للفظ القرآن في السياق

حين نسمع لفظ (قرآن) يتبادر لنا معنى دلالي، إما وجداني أو عقدي، وهنا يمكن تقسيم اللفظ بحسب المفهوم، إلى مفهوم دلالي اولي، وهذا ما يتفق عليه أكثر السامعين. ومفهوم دلالي ثانوي ، والاول هو التبادري الذي لايحتاج الى نظرة تأملية ، والثاني تدخله النظرة التأملية ويأخذ بنظر الاعتبار اللفظ واستعماله وسياقه ، فقد قيل (لاتبحث عن معنى الكلمة بل ابحث عن استعمالها)[1].

وقد قسم علماء الدلالة - كما مر في صدر البحث - أن للكلمة دلالتين ، دلالة ثابتة وهي الدلالة المركزية لها ، ودلالة مؤقتة وهي الدلالة التي يحملها السياق.

والمفهوم اللفظي الدلالي عادة لا يدل على المراد، وانما يعطي معنى إجماليا، ويمكن تسمية هذا المعنى الإجمالي بالدلالة الأولية، أو الدلالة السطحية.

والمفهوم الأولي لا بد أن يتعرض له المتعرض لأنه يأتي الذهن مباشرة دون التفكير في أصل اللفظ وعمق دلالته، فيشكل في ذهن السامع وفي أية لغة مفهوما دينيا أو عقديا. وهناك مفهوم لفظي آخر يدل على عمق الدلالة، وهذا ما يختلف من مستوى إلى آخر تدخله الثقافة ومدى عمقها، وفي حقيقة الأمر أن المفهوم الدلالي الأولي لا يصل إلى المقصود وقد لا يترتب عليه شيء إلا سرعة الذهن لفهم القدسية دون المفاهيم الأخرى. وإن تعمق القارئ في الدلالة اللفظية ، فلا يعدو الأمر سوى مفهوم لغوي يتعلق بالصرف والمفهوم الدلالي السطحي، وهنا يمكن أن يقال إن الدلالة لهذا الأمر لا يحل عقدتها إلا السياق، لأن المفهوم اللفظي الأولي الدلالي يطرق الذهن بلا أدنى شك، والأعمق يدخل الجانب المعجمي، والأوسع من ذلك هو الوصول إلى المراد الذي لا يحدده إلا السياق، ولذا لا بد من التعرض إلى استعمال لفظ القرآن أو كتاب الله تعالى بمفردات مختلفة أولها لفظ القرآن الذي نحن بصدد الحديث عنه.

وهنا يجب أن نأخذ بنظر الأعتبار أن الألفاظ التي وردت في القرآن الكريم التي تدل على القرآن (الذكر، والكتاب، والفرقان، والنور) وهذه الألفاظ وردت في قوله تعالى: ((الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ *))[2] ، والذكر في قوله تعال: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))[3] والفرقان في قوله تعالى: ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً))[4] ، والنور في قوله تعالى: ((فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ))[5].

---

1 – لاينز ، جون : علم الدلالة ، ترجمة مجيد الماشطة ،وآخرون (البصرة : منشورات كلية الاداب جامعة 1980) ص18.
2 - البقرة/ 1- 2.
3 - الحجر / 9.
4 - الفرقان / 1.
5 - التغابن / 8.

لو تأملنا الأسماء التي ذكرت للقرآن الكريم، نجدها - بلا شك - تدل على القرآن، ولكن بالمفهوم الدلالي الأولي وبالمفهوم اللفظي الدلالي لا ترد بهذا المعنى إلا إذا ذكرت في السياق، لأن هذه الالفاظ مشتركة إلا لفظ القرآن الكريم فإنه بالمفهوم الدلالي الأولي يدل على معناه الوجداني أو العقدي.

وإن ذكرت الألفاظ المتقدمة كالكتاب، فله دلالة تسرع إلى ذهن السامع، تختلف كثيرا عن دلالة لفظ القرآن، لأن القرآن لم ترد له إلا تسمية واحدة، وقد يقول قائل ان كلمة مصحف تدل أيضا على ذلك ولكن هذه اللفظة مستحدثة ،ولا دليل عليها من القرآن الكريم باللفظ نفسه،وهذا يعني أنها وضعت بعد جمع القرآن وتصحيفه، وقد ذكر أن أول ما أطلق تسمية مصحف على القرآن الكريم في زمن أبي بكر الصديق فقد (ذكر المظفر في تاريخه، لما جمع أبو بكر القرآن قال: سموه فقال بعضهم: سموه إنجيلا فكرهوه. وقال بعضهم: سموه السفر فكرهوه من يهود. فقال ابن مسعود: رأيت للحبشة كتابا يدعونه المصحف فسموه به)[1] أما الصحيفة فقد ورد استعمالها عند العرب كثيرا بمعنى الشيء الذي يكتب فيه. أما (القرآن) إسم يطلق على كلام الله عز وجل المنزل على خاتم الأنبياء محمد (ص) خاصة ولا يسمى بذلك غيره، وهو اسم لمجموع ما هو موجود بين الدفتين ، والمشتمل على مئة وأربع عشرة سورة أولها الحمد وآخرها الناس)[2]

وقد تعطي كلمة مصحف معنى دلاليا رغم أنها مستحدثة ، وهذا المعنى الدلالي أولي، ولكن لا يمكن مقارنته بالقرآن ، لأن اللفظ ليس موضوعا حديثا بل هو موجود في القرآن وبأساليب وسياقات مختلفة.

والقرآن له معنى معجمي، والمعنى المعجمي لا يتعدى كونه معتمدا على جذر اللفظ أحيانا، فتقول قرأ وهذا يمكن أن يعطي معنى دلاليا غير المعنى الدلالي الأولي، لأن القدسية تبادر إلى الذهن أسرع من المعنى الآخر وهو القراءة، وهنا بدأ دور المعجم في فهم معنى اللفظ، والمعجم اعتمد امرين، وهما الجذر حيث يرى اصحاب المعاجم أنه (سمي القرآن قرآنا لأن القاريء يظهره ويبينه ويلفظه من فيه)[3].

وهذا المعنى قد يرد في ذهن السامع ولكن – كما مر – القدسية تسرع الى الذهن اسرع من القراءة.

وقد اعتمد اهل المعاجم الاخرى على فهم المعنى في السياق، فاختلف المعنى نوعا ما لأن السياق اعتمد شكلا اخر من اشكال الدلالة ، حيث إن السياق اعتمد العلاقات الدلالية كمجاورة اللفظ لبعضه، أو تشكيل اللفظ وحدة لغوية تعطي مفهوما آخر، ورغم هذا بدأ المعنى يعطي نمطا آخر من المفاهيم ، وقد اتفق اكثر أهل المعاجم على معنى.

قال صاحب غريب الحديث (وسمي قرآنا لأنه جمع السور وضمها، ويقال للتي لم تلد من النوق ما قرأت سلى قط أي ما ضمت في رحمها ولدا وكذلك قرأت جنينا وقال في قوله تعالى ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ))[1] أي تأليفه)[2].

وقال الصغّاني (وقرأت الشيء جمعته وضممت بعضه إلى بعض)[3].

وقال ابن منظور (وقرأت الشيء قرآنا جمعته وضممت بعضه إلى بعض)[4].

ونفهم مما تقدم أن المعاجم اتفقت على معنى القرآن بأنه جمعه وضم بعضه إلى بعض ،وهذا أول مفهوم سياقي لغوي اعتمد على فهم العلاقات اللفظية ومجاورتها داخل النص، وان كان لا يعطي معنى دلاليا يصل إلى المعنى المقصود، ولكن هذا الفهم الدلالي لم يكن مقنعا لو وضع في روح الدلالة، وقد يكون المعنى الدلالي السطحي الذي اعتمد اللفظ بمفرده اعمق بكثير من هذا المفهوم، وهنا يمكن القول أن السياق لا يسعف أحيانا في فهم الدلالة، فكلمة جمعه وردت قبل قرآنه في الآية المباركة ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)) فإن فسر لفظ قرآنه بمعنى جمعه وضمه ، فما الفائدة المتوخاة من دلالة السياق، وهنا لا بد من القول أن هناك معاني دلالية أعمق تكمن وراء النص ، يمكن التماسها من اللفظ، والسياق القريب، وعلاقات الجمل، والاستفادة من الموقف، فلو أخذنا قوله تعالى ((لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))[5] , فالسياق يجعلنا نتأمل في لفظ القرآن وعلاقاته بالالفاظ التي في السياق، وهذا كله يعطينا معنى جديدا أدق من المعنى الدلالي اللفظي المجرد لأن المعنى الدلالي اللفظي المجرد أعطانا القدسية، ولكن لو تأملنا السياق هنا لوجدنا ألفاظا ذات علاقة هي (خاشعا، ومتصدعا، من خشية الله) وكل هذه تنطوي تحت معنى أعمق هو عظمة قدسية القرآن غير المحدودة، فتصدع الجبل يعني تشققه وغضبه وهذا يعطي هيبة القرآن وعظمته والخوف من عواقبه ، ولذلك منح المعنى قدسية أقوى والجبل يعني القوة وعدم التأثر وهنا يفهم من السياق كما يرى الآلوسي في قوله (وهذا تمثيل لعلو شأن القرآن وقوة تأثيره والغرض من هذه توبيخ الأنسان على قسوة قلبه وقلة تخشعه عند تلاوة القرآن الكريم)[6].

1ـالقيامة / 17.

2 ـ الدينوري ، بن قبيتة المزوري :غريب الحديث ج1، تحقيق عبد الله الجبوري (بغداد : وزارة الاوقاف العراقية ، احياء التراث الاسلامي 1977) ص54.

3 ـ الصغّاني ، الحسن بن محمد بن الحسن : العباب الزاخر واللباب الفاخر ، تحقيق محمد حسن آل ياسين (بغداد : دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ، 1981) فصل القاف مادة (قرأ).

4 ـ ابن منظور: لسان العرب ج1 ص128 ، فصل القاف (قرأ).

5 ـ الحشر/ 21.

6 ـ طنطاوي، محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ط3 ، ج1 (مصر : دار المعارف ، 1978) ص456.

وظاهر السياق يفهم هكذا رغم اختلاف مستويات الفهم الدلالي عند القراء، وتجمع اكثر السياقات القرآنية، أن لفظ قرآن يميل إلى ما جاوره من الألفاظ فيجمتع معنيان القدسية التي لا تختلف عن الدلالة اللفظية والمعنى الكامن وراء السياق، الذي يدل في كثير من الاحيان على القراءة والذكر، واللغة العربية - كما تدل المصادر- مقروءة غير مكتوبة، إذ ان التدوين أو الكتابة وإن كانت موجودة ، ولكنها تكاد تكون معدومة ولذلك كان التحدي هو التحدي بالقول.

وقد يرد في السياق بما هو بعيد كل البعد عن الدلالة اللفظية، بل يؤخذ المعنى الدال ودلالته من السياق فقوله تعالى ((أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا))[1]. فلو تأملنا معنى القرآن من خلال السياق لوجدنا المقصود هو صلاة الفجر لأن العلاقة الدلالية بين أقم الصلاة وتقسيمها إلى الفرائض الخمس دال بلا شك على صلاة الفجر، والعلاقة الدلالية هنا يكشف عنها قوله أقم الصلاة، وقوله تعالى ((لدلوك الشمس)) يعني به الظهر والعصر و ((غسق الليل)) أريد به المغرب والعشاء فمن البديهي أن قرآن الفجر يقصد به الفجر، فقوله تعالى ((وقرآن الفجر)) (أجمعوا على أن المراد منه صلاة الصبح وانتصابه بالعطف على الصلاة في ((أقم الصلاة)) والتقدير أقم الصلاة وأقم قرآن الفجر وفيه فوائد، الأولى أن هذه الآية تدل على أن الصلاة لا تتم إلا بالقراءة)[2].

وفي قوله تعالى ((قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا))[3].

لا شك أن السياق هنا يشعر بأن المعنى أريد به التحدي وهذا ما يرى بديهيا من خلال النص، كما أن الموقف هنا ساعد في فهم أو تعزيز مفهوم السياق، فالآية هنا نزلت للرد على النضر ابن الحارث الذي ادعى أنه يستطيع ان يقول مثل القرآن.

وهنا - مما لا شك فيه - وبحسب اسباب النزول هو سياق الموقف وقد ورد أن الموضوع أريد به تحدي هذا الشخص (وفي هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا)[4].

---

1 – الاسراء/ 78.

2 – الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر : مفاتيح الغيب المعروف بتفسير الرازي ، تقديم خليل الميس ج 10(بيروت : دار الفكر للنشر والتوزيع ،1981) ص107.

3 – الاسراء/ 88.

4 – الطبرسي. أبو علي الفضل بن الحسن : مجمع البيان في تفسير القرآن ، تحقيق هاشم الرسول المحلاتي وفضل الله اليزدي ج6 (بيروت ، دار المعرفة 1986) ص876.

ولكن اختلف المعنى على وفق كل سياق في النصوص القرآنية، وقد يتفق الغرض البلاغي مع السياق الدلالي للفظ، فالتحدي على سبيل المثال يمكن أن يعد من الأغراض البلاغية في علم المعاني، والتحدي هو ما دل على المفهوم السياقي للفظ القرآن عندما أخذ بنظر الاعتبار في السياق، ولهذا اتضح المعنى الدلالي اعتمادا على السياق.

الكتاب

(الكتاب: إسم لما كتب مجموعا، والكتاب مصدر الكتابة لمن تكون له صناعة مثل الصياغة)[1].

والكتاب ورد ذكره في القرآن الكريم بصيغ عدة، ولا بد في باديء الأمر من الإشارة المعجمية إلى معنى الكتاب (فالكتاب: معروف والجمع كتب بتسكين التاء وكتب بتحريكها وكتب الشيء يكتبه كتبا وكتابة وكتبه خطه)[2].

وهذا المعنى بلا شك يتفق مع الدلالة الأولية فعند قولنا كلمة كتاب يتبادر إلى الذهن الكتابة وما يتعلق بها، وللكتاب معان كثيرة لا يحل عقدتها إلا السياق، أما قول كلمة كتاب بغير سياق فلا تشكل إلا المعنى الأولي، على العكس من كلمة القرآن فهي تعطي معنى دلاليا أوليا يعني القدسية. وهنا لا بد من الالتفات إلى أن التفسير أو الفهم دون السياق لا يمكن أن يعتد به إعتدادا كاملا.

وفي اللسان أيضا قال (والكتب بمعنى الجمع، تقول منه كتبت البغلة إذا جمعت بين شفريه بحلقة أو سير)[3].

وهذا ما يتفق أيضا مع كلمة قرآن التي تعني الجمع- كما مر- وهذا المعنى بعيد عن الفهم الدلالي الأولي ، بل فيه نظر أيضا في السياق.

وقد عبر صاحب الفروق في اللغة بقوله و (الكتاب هو الجامع لمسائل متحدة في الجنس مختلفة في النوع)[4].

---

1 – ابن منظور: لسان العرب ج1ص668 فصل الكاف (كتب) .
2– المصدر نفسه.
3 – المصدر نفسه.
4 – العسكري ،ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل : الفروق في اللغة ، تحقيق جماعة المدرسين في مؤسسة النشر الاسلامي (قم : مؤسسة النشر الاسلامي ،1412هـ) حرف الكاف (كتب)ص 446.

ويرى ابو هلال العسكري في الفرق بين الكتاب والمصحف (أن الكتاب يكون ورقة واحدة ويكون جملة أوراق، والمصحف لا يكون إلا جماعة أوراق صحفت أي جمع بعضها إلى بعض، وأهل الحجاز يقولون مصحف بالكسر أخرجوه مخرج ما يتعاطى باليد وأهل نجد يقولون مصحف وهو أجود اللفظين، وأكثر ما يقال المصحف لمصحف القرآن والكتاب أيضا يكون مصدرا بمعنى الكتابة، تقول كتبت كتابا وعلمته الكتاب والحساب وفي القرآن ((وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ))[1] أي كتاب في قرطاس ولو كان الكتاب هو المقروء لم يحسن ذكر القرطاس)[2].

وهذا ما فسره السياق، وقد يرد في المعنى الدلالي ايضا أن الكتاب يعني الورقة الواحدة أو الكتاب بكامله، وهذا ما يمكن ملاحظته عند الناس، ولكن الموقف هنا يفسر السياق فلو قلنا ارسل هذا الكتاب إلى فلان فدلالته واضحة على فرض وجود قرينة أو سياق الحال، ولكن لو قلنا كلمة كتاب مجردة - فبلا شك - تكون الدلالة الأولية هي الكتاب المجموع.

والمستفاد من قول الله تعالى ، الذي ذكره العسكري في فروقه في الآية السابعة من سورة الانعام ((وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ)) أنه لا يعني الجمع مطلقا، كما أن لفظ قرآن الذي مر ذكر تفصيله لا يعني كلمة الجمع بدليل قوله تعالى في الاية المذكورة آنفا ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)) وإلا ما الفائدة من العطف إذا كان المعطوف بمعنى الجمع دون المغايرة.

أما الإشارات الدلالية التي يراد فيها فهم المعنى من خلال السياق، فيمكن إيجادها في السور نفسها، إذا تتبعنا قضية التكرير وأهميته في الآيات نفسها، فعند استعمال لفظ الكتاب، أو القرآن (يلاحظ أنه يستعمل عندما يبدأ بالكتاب يكون قد تردد ذكر الكتاب أكثر بكثير مما يتردد ذكر القرآن أو قد لا تذكر كلمة القرآن، مطلقا في السورة. أما عندما يبدأ بالقرآن يتردد في السورة ذكر كلمة القرآن أكثر من الكتاب، أو قد لا يرد ذكر الكتاب مطلقا في السورة، واذا اجتمع القرآن والكتاب فيكونان يترددان في السورة بشكل متساو تقريبا ونأخذ بعض الأمثلة: قال تعالى في سورة البقرة ((ذلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ))[3] وذكر الكتاب في السورة 47 مرة والقرآن مرة واحدة في آية الصيام ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ **مِّنَ** الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ))[4]

---

1 – الانعام / 7.
2 – العسكري ،ابو هلال : الفروق في اللغة ، حرف الكاف (كتب) ص447.
3 – البقرة / 2.
4 – البقرة / 185.

وفي سورة طه بدأ السورة بالقرآن ((طه * مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ))[1] وورد القرآن فيها ثلاث مرات والكتاب مرة واحدة)[2]

الإشارة بذلك وهذا

ومما يلف النظر أن الكتاب غالبا ما يشار له بذلك ، كقوله تعالى ((ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ))[3] والقرآن يشار إليه بهذا، كقوله تعالى ((لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ))[4] و(تدل كثير من الموارد أن القرآن أو الكتاب إذا أريد به القرآن لا يشار إليه بإسم الإشارة ذلك لأنه يتحدث عن نفسه، وليس شيء أقرب إليه من نفسه زمانا ومكانا، وبناءً على ذلك يكون قوله (ذلك الكتاب) بمعنى هذا الكتاب أو هذا القرآن وهو قول خاطيء يخالف النظام القرآني واستعماله له المنظم للالفاظ، وان لفظ الكتاب لا يراد به القرآن دوما، وإنما هو بحسب التركيب وترتيب ألفاظه والألفاظ المقترنة به، والدليل على ذلك وجود التغاير في بعض التراكيب بين لفظي الكتاب والقرآن)[5].

وهنا نلاحظ كيف عطف القرآن على الكتاب، وفي اللسان العربي لا ينعطف إلا المتغايرات والخاص على العام وهناك احتمالان:

(1 – أن القرآن شيء والكتاب شيء آخر وعطفهما للتغاير كأن نقول جاء أحمد ويوسف وسعيد، حيث إن سعيدا شخص وأحمد شخص ويوسف شخص آخر وعطفهما للتغاير.

2 – أن يكون القرآن جزءا من الكتاب وعطفهما من باب عطف الخاص على العام وفي هذه الحالة يكفي عطف الخاص على العام للتأكيد وللفت انتباه السامع إلى أهمية الخاص)[6]

ويرى بعضهم أن (الكتاب يعني اللوح المحفوظ)[7].

---

1 - طه / 1 ، 2.
2 - السامرائي ، فاضل السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص التنزيل ط 3 ، (عمان: دار عمار للنشر ، 2003)ص213.
3 - البقرة / 2.
4 - الحشر / 21.
5 - الآلوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ج1 (بيروت : /دار احياء التراث الاسلامي ،1994) ص 96.
6 - شحرور ، محمد : الكتاب والقرآن آراء معاصرة موقع د.محمد شحرور(الكتاب ألكتروني غير مرقوم) . www.shahrour.org
7 - ابن الهائم المقريء ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد الشافعي : التبيان في تفسير غريب القرآن (طنطا : دار الصحابة طبعة 1992) ص142.

وللكتاب دلالات أخرى كثيرة يفسرها السياق، وهذه الدلالات لا تكون مفهومة في اللفظ بل في السياق وهي كالآتي:

1 – بمعنى الفرض كقوله تعالى ((إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا))[1] فمما لا شك فيه يفهم من السياق الفرض أو الوجوب وهذا ما لا يحتاج إلى عمق في فهم المعنى بل الدلالة واضحة هنا.

2 – بمعنى الحجة والبرهان كقوله تعالى ((فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ))[2].

3 – الأجل كقوله تعالى ((وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ))[3].

ومن خلال ما تقدم يبدو واضحا أن دلالات الكتاب مفهومة من خلال السياق، ولا تحتاج إلى تأمل بل تسرع المعاني، وتتبادر إلى الذهن، ولكن لا بد أن يلتفت إلى عمق هذه المعاني في السياق، وقد يكون في السياق قرائن ترشد إلى فهم معنى الكتاب وتحتاج إلى تأمل.

وقد استخدم لفظ القرآن لإفادة العموم، كقوله تعالى ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ))[4] جعل القرآن الكريم (هدى للناس)أما قوله تعالى ((ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ))[5] جعل الكتاب هدى للمتقين فالقرآن من خلال السياق هو الهادي لكل الناس، أما الكتاب فهو الهادي للمتقين، فالقرآن الكريم يبدو أعم لأنه شمل المتقين وغير المتقين.

ومن المعاني الدلالية التي يفرضها السياق ، أن كلمة كتاب تعني الرسالة وهذا المفهوم مشهور بين الناس، وقد ورد في القرآن في قوله تعالى ((اذْهَب بِّكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ))[6].

وقد تفهم الدلالة من الشياع ان الكتاب هو الاخبار برسالة، كما يطلق عليه في أيامنا الكتاب الرسمي ودلالته تسرع إلى الذهن، ولكن في غير السياق لا يمكن أن يفهم هذا المعنى بل له دلالة أخرى وهو ما جمع أوراقاً – كما مر – في مقدمة البحث.

---

1 – النساء/ 103.
2 – الصافات /157.
3 – الحجر / 4.
4 – البقرة /158.
5 – البقرة /2.
6 – النمل/ 28.

ومما ورد أن الكتاب يفهم من خلال السياق بأنه ما اخبر عن الامم السالفة، كقوله تعالى ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))[1].

وفي آية أخرى ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا **مِن** بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ))[2] ومن خلال سياق الآيات المتقدمة يبدو أن المعنى يعزز القول بأن الكتاب كان يختص بالأمم السالفة أو عامة الأمم،وفي قوله ذلك الكتاب (يعني الم ذلك الكتاب وهو ذلك الكتاب الذي اخترت [به] انبيائي السالفين أني سأنزله عليك يا محمد لا ريب فيه)[3] وإن (ذلك الكتاب المفسر في التوراة والانجيل يعني التوراة والانجيل يشهدان بصحته)[4].

الذكر

ومن أسماء القرآن الكريم (الذكر) وهذا ما ورد في كثير من الآيات، وقد ورد هذا المعنى بأشكال مختلفة، وقبل الخوض في السياق لا بد من الإشارة إلى دلالة اللفظ ، فالذكر بالمعنى الأولي يعني الحفظ أو ما يتعلق بالذاكرة ،وهذا ما لا يختلف عليه اثنان، ويمكن عد هذه الدلالة دلالة مركزية تدور حولها المعاني.

وفي السياق أيضا يدور هذا المعنى (فإن هذا القرآن نوع من الذكر لما انتهى إلى ذكر الانبياء وهو نوع من التنزيل الذي أراد أن يذكر نوعا آخر وهو ذكر الجنة وأهلها)[5]

فالمفهوم الدلالي كما يرى في السياق هو ما يتعلق بالتذكير، وهذا ما قد يوافق الدلالة الأولية اللفظية (ولكون الذكر من أجمع الصفات في الدلالة على شؤون القرآن عبر عنه بالذكر في الآيات التي خبر فيها عن حفظة القرآن عن البطلان والتغيير والتحريف)[6] قال تعالى ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))[7].

---

1 – القصص/ 43.
2 – البقرة/ 87.
3 – العسكري ، الامام الحسن بن علي الهادي : تفسير الإمام العسكري (قم : ص مدرسة الإمام الهادي ، 1409 هـ) ص64.
4 – القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لاحكام القرآن ج1، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي (بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 2006) ص 244.
5 – السيوطي، جلال الدين : الاتقان في علوم القرآن ج2، دار الكبت العلمية (بيروت ، دار الكتب العلمية 1985) ص 293.
6 – الطباطبائي ، محمد حسين :الميزان في تفسير القرآن ج12 (بيروت ،مؤسسة الاعلمي ، 1997) ص53.
7 – الحجر / 9.

فالنص القرآني يبدو جليا في إيراد المعنى الدلالي، الذي يدور حوله أمران، أولهما الذكر بمعنى الحفظ وكلمة (لحافظون) المؤكدة باللام دليل واضح على قصد معنى الحفظ، والذكر الذي يفسر بما يتعلق بالذاكرة، أو التذكير وهو يتفق مع المعنى المركزي للفظ والسياق وضح ذلك أكثر، فالقرآن مذكور ومقروء ومحفوظ كما يتبين من السياق (فقد أطلق الذكر وأطلق الحفظ فالقرآن محفوظ بحفظ الله عن كل زيادة ونقص وتغيير في اللفظ أو في الترتيب يزيله عن الذكر به ويبطل كونه ذاكرة لله سبحانه وتعالى بوجه)[1].

والملاحظ من خلال النصوص القرآنية الشريفة أن الذكر علامته بالذاكرة أو بالعقل فقوله تعالى ((وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ))[2] . فالجنون يتعلق بالعقل والذاكرة، ولذلك أشير دلاليا إلى ذلك بالذكر. أما قوله تعالى ((فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ))[3] فهو لا يتعدى دائرة العقل والذاكرة أيضا (والذكر حفظ معنى الشيء واستحضاره، ويقال لما به يحفظ أو يستحضر، قال الراغب في المفردات: الذكر تارة يقال ويراد به هيئة للنفس بها. يمكن للانسان ان يحفظ ما يقتنيه من المعرفة وهو كالحفظ ،إلا ان الحفظ يقال اعتبارا باحرازه ،والذكر يقال باستحضاره وتارة يقال لحضور الشيء في القلب، أو القول كذلك قيل الذكر ذكر ان ذكر بالقلب وذكر باللسان وكل واحد منهما ضربان: ذكر نسيان وذكر لا عن نسيان بل ادامة لحفظ، والظاهر أن الأصل فيه ما هو للقلب دائما يسمى اللفظ ذكرا اعتبارا بافادته المعنى والقائه اياه في الذهن، وعلى هذا المعنى جرى استعماله في القرآن غير أن مورده فيه ذكر لله تعالى والذكر إذا اطلق فيه ولم يتقيد بشيء هو ذكر)[4].

وظاهر الدلالات التي سيقت في النصوص القرآنية، تعني الحفظ والتذكير وما يتعلق بالذهن، وقد ورد أيضا في بعض النصوص القرآنية أن دلالة لفظ ذكر في السياق يعني ما مر في الأمم السابقة، أو ما نزل على الانبياء السابقين (فالقرآن الكريم ذكر كما أن كتاب نوح وصحف ابراهيم وتوراة موسى وزبور داود وانجيل عيسى عليه السلام وهي الكتب السماوية المذكورة في القرآن كلها ذكر واهلها المتعاطون لها المؤمنون بها أهل الذكر)[5].

---

1 – الطباطبائي ، محمد حسين :الميزان في تفسير القرآن ج12ص53.
3 – النحل / 43.
4 – الطباطبائي ، محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن ج12ص133.
5 – المصدر نفسه ج 12ص 133.

فقوله تعالى ((وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ))[1]فلو تأملنا الكتاب الذي سبق الزبور لتبين لنا أنه التوراة، وهو كتاب موسى عليه السلام وقد يعني كتب الله التي نزلت على الانبياء والاول اسرع للذهن فدلالة السياق ترى ذلك بالتبادر. وقد ذكر الرازي (عن ابن عباس يريد اهل التوراة والذكر هو التوراة. وقد ذكر آراءً للزجاج منها (فاسألوا أهل الكتب الذين يعرفون معاني كتب الله فإنهم يعرفون أن الأنبياء كلهم بشر، وأن أهل الذكر أهل العلم بأخبار الماضين، إذ العالم بالشيء ذاكرا له)[2].

ويبدو ظاهرا من خلال السياق أن المراد بالذكر هنا التوراة بدليل قوله تعالى (ولقد كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) أي أن السابق للزبور هي التوراة.

وفي بعض النصوص جُمع لفظي (قرآن وذكر) كقوله تعالى ((إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ))[3]. ومن خلال السياقات المتقدمة للآيات الكريمة أن كلمة ذكر إما أن تأتي بمعنى الحفظ وما يتعلق بالذاكرة، وهذا يبدو ظاهر الدلالة دون تأمل عميق في قوله تعالى ((وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ))[4]، فعلاقة الذكر بالإدكار هي علاقة حفظ تتعلق بالذاكرة وقد ورد بمعنى التذكير أيضا كقوله تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ))[5]، وهو ما يتعلق بتذكير الأمم السابقة بما نزل عليهم من كتب.

وقد تكون هناك سياقات تدل على أعمق من ذلك فقوله تعالى ((ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ))[6] والسياق هنا يتعلق بأمرين الأول مدى الفهم اللغوي في زمانه، ومدى فهمه اليوم، وقد لا تتطابق الرؤيتان (والذكر الشرف والشهرة من قولك فلان مذكور((وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِك)) أو الذكرى والموعظة، أو ذكر ما يحتاج إليه في الدين من الشرائع وغيرها كأقاصيص الأنبياء والوعد والوعيد)[7].

---

1 – الانبياء/ 105.
2 – الرازي ، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين : التفسير الكبيرج 20 ص36 .
3 – يس /69.
4 – القمر/ 17.
5 – فصلت /41.
6 – ص/ 1.
7 – الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل ج 3 رتبه محمد عبد السلام شاهين (بيروت : دار الكتب العلمية / 1995) ص359.

ويبدو أن الذكرى والموعظة أقرب دلالة إلى ذهن السامع، لأن القرآن دلالته ظاهرة في اللفظ والسياق، ولا يختلف عليه، أما وجوده أفاد أو دل إلى أن الذكر يراد به الذكرى والتفكير.

ويُستنتج من القول أن لفظة ذي عندما سبقت الذكر فهي دالة على صفة الشيء، فالقرآن هنا موصوف والذكر صفته، وهذا ما يدعم الصنف الدلالي الذي يمكن فهمه مباشرة دون تأمل عميق.

الفرقان

لقد ذكرت آراء كثيرة حول تسمية القرآن بالفرقان ، وهل يراد به القرآن أم غيره، وهل هو من باب الترادف أم غير ذلك، والواقع أن لا وجود للترادف في هذا المعنى، بل لكل لفظ يدل على مفهوم القرآن معنى قائم بذاته، ومما يعزز هذا القول أن الفرقان في قوله تعالى ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ))[1] جاء معطوفا والعطف دليل على المغايرة. وقد وردت آراء كثيرة حول معنى الفرقان فقيل (سمي بذلك لأن نزوله كان متفرقا أنزله في نيف وعشرين سنة ودليله قوله تعالى ((وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا))[2] ونزلت سائر الكتب جملة واحدة)[3].

وهذا القول – أي نزلت الكتب فيه جملة واحدة – فيه نظر فما معنى قوله تعالى ((وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ))[4].

فقد ورد لفظ الفرقان في الآية مع أن الكتاب يخص موسى عليه السلام، فالاولى أن نقول نزل عليه متفرقا أيضا، وهنا يبدو أن هذا ليس هو المعنى المراد، ويمكن تلخيص الآراء المتعلقة بلفظ الفرقان بقول المفسرين وهي لا تعدو ان تكون تصورات وآراء قد يقترب بعضها من المعنى الدلالي، فقد ذكر المفسرون (لتسمية القرآن بالفرقان وجوها منها أنه سمي به لنزوله متفرقا مدة الزمان ومنها أنه مفروق بعضه من بعض لأنه مفصل بالسور والآيات، ومن افتراقه عن سائر المعجزات ببقائه على صفحات الأيام والدهور ومنها فرقه بين الحق والباطل والحلال والحرام، وروى ابن سنان* عن ذكره قال سألت أبا عبد الله*

---

1 – البقرة / 185.
2 – الإسراء / 106.
3 – الرازي ، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين : التفسير الكبيرج1ص280 .
4 – البقرة / 53.
* ابن سنان هو عبد الله بن سنان محدث من أهل الكوفة وكان خازنا للمنصور والمهدي والهادي والرشيد من اعلام القرن الثاني الهجري 193هـ .
* أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام .

عليه السلام عن القرآن والفرقان، أهما شيء واحد أم شيئان؟ فقال عليه السلام: القرآن جملة الكتاب والفرقان: المحكم الواجب العمل به)[1].

ومن خلال السياقات القرآنية يلاحظ أن لفظ الفرقان له مداليل متنوعة يكشفها السياق، فالقرآن غير الفرقان والعطف يعني المغايرة ، وقد تقدم الكلام عن ذلك، والفرقان لفظ تنوع مفهومه من خلال السياق، فهو لا يختص مثل القرآن بالنبي (ص) بل تعدى ذلك إلى الأنبياء السابقين، وهذا ظاهر في قوله تعالى ((وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) وهذا المعنى يمكن مقارنته أيضا، بأن الفرقان يعني المحكم الواجب العمل به ، فقوله تعالى ((وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) [2] فالعطف هنا دليل المغايرة، ثم قوله تعالى ((شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ))[3].
فظاهر الآيتين يدل على أن العطف دليل على المغايرة، والمغايرة هنا يؤكدها قول: إن القرآن أريد به المحكم الواجب العمل به.

بقي أن لفظ الفرقان بالمعنى الدلالي الأولي أو الدلالة المركزية يعني القرآن، ولكن قوة الدلالة في إن لفظ القرآن يعني الكتاب الكريم الذي فيه كل صور التعبد ، الذي لا يختلف عليه اثنان، أما الفرقان ففيه صور إحداها - كما مر ذكره - بمعنى القرآن، والأخرى كما شاع ما فرق به بين الحق والباطل،والثانية يمكن أن تتفق بأن المراد هو المحكم من القرآن أو أحكامه.

والمستفاد من المعاني المتقدمة في دلالتها السياقية ، أن أسماء القرآن وإن تعددت فلها مفاهيم كثيرة، من خلال السياقات ولكن بالدلالة الأولية أو بالدلالة المركزية يلاحظ أن المراد القرآن، فقد شاع بين أكثر السامعين أن الذكر والفرقان والقرآن هي معاني دلالتها الأولية واحدة، ولكن بلا شك يحدث تساؤل عند رؤية السياقات المختلفة.

ويرى الفيروز آبادي أن حكمة تعدد الأسماء للقرآن الكريم لشرفه بقوله (إعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء القيام دلت على كمال شدته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلالته وعظمته، وكثرة أسماء النبي (ص)دلت على شرفه وفضيلته)[4] ويبدو أن هذا المعنى الذي ذكره الفيروز آبادي حقيق لأن هذا شائع في أوساط الناس.

---

1 – العسكري ،ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل : الفروق في اللغة ، حرف القاف (قرأ) ص424.
2 – البقرة / 53.
3 – البقرة / 158.
4 – الفيروزآبادي ، مجد الدبن أبو طاهر محمد بن يعقوب : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيزج1 (القاهرة : مؤسسة النشر الاسلامي 1996) ص88.

الباب الثالث

الفصل الثاني

العلاقة بين سياق الموقف وأسباب النزول

العلاقة بين سياق الموقف وأسباب النزول

قبل الخوض في معرفة العلاقة بين أسباب النزول والسياق، لا بد من إلقاء نظرة على التعريفات التي تتعلق بالسياق وأسباب النزول.

فأسباب النزول (العلم الذي يتكفل بالكشف عن الأحداث التاريخية والوقائع التي كانت من دواعي النص القرآني)[1]، أو (ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه مبينة لحكمه أيام وقوعه)[2]. وقد لخص الباحثون الأهمية في معرفة أسباب النزول بما يأتي:

1 – بيان سبب النزول التي دعت إلى تشريع حكم من الأحكام ومراعاة الشرع للمصالح العامة.

2 – معرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن وكشف الغموض الذي يكتنف بعض الآيات.

3 – تخصيص حكم ما نزل إن كان بصيغة العموم.

4 – سبب النزول فيه دلالة على إعجاز القرآن، إذ في نزول القرآن عند حدوث حوادث دلالة على إعجازه من ناحية الارتجال وهي إحدى طريقتين لبلغاء العرب في أقوالهم ، فنزوله على حوادث يقطع دعوى من ادعوا أنه أساطير الأولين.[3]

أما الصلة أو الرابط بين أسباب النزول والسياق، فيظهر مما تقدم في الفصل الأول من البحث، أن سياق الموقف هو مقصد الكلام، وإن كان موقفا لأن الموقف – كما مر تعريفه – هو السياق الذي يهتم بمراقبة العلاقات الزمانية والمكانية التي يحدث فيها الكلام، وبالتأكيد لو أردنا تفسير أية حادثة وقعت لا بد من الرجوع إلى أسباب النزول لنعرف المقام الذي قيلت فيه الآية، والموقف الذي حدثت فيه، ومن هنا يمكن الوصول إلى الفهم الدلالي للآيات المتعلقة بالأحداث، وإلا يصعب تفسيرها، وقد يقول قائل: إن اللغة قطعت شوطا كبيرا، فالمفهوم الدلالي اختلف اليوم عن ما نزلت به الآية، فالاجابة إن هذا يتعلق بالقرآن

---

1 – العطار ، داود : موجز علوم القرآن ط 4 (بيروت : مؤسسة الأعلمي للنشر والتوزيع 1995) ص21.
2 – الزرقاني ، محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ،المحقق فواز أحمد زمرلي ج1 (بيروت: دار الكتاب العربي 1995) ص150.
3 – ابن عاشور، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير (تونس : الدار التونسية 1984) ص43.

دون غيره من النصوص، لأن التطور الدلالي ظاهر على إختلاف العصور، وهذا ما لا يختلف فيه باحثو اللغة فالسياق (يقتضي عناصر مختلفة، أولا العنصر الذاتي وهو معتقدات المتكلم، وأيضا مقاصد المتكلم، ثم العنصر الثاني أسميه عنصرا موضوعيا وهو الوقائع الخارجية التي تم فيها القول يعني الظروف الزمانية والمكانية)[1].

والنص القرآني وإن كان في بادئ الأمر يخص أهل عصر الرسالة أو أيام نزول القرآن، إلا أنه يفيد العموم هنا لان ما ينطبق على أهل عصر الرسالة ينطبق على أهل هذا العصر، فالنص القرآني ثابت بلا شك في حكمه على الأولين والآخرين. ولو (نظرنا إلى مقتضى الصيغة كان موجبا للتخصيص ولكن إذا نظرنا الى ما استمر الشرع عليه، فذلك يقتضي المشاركة والمساواة، ألا ترى أن اللفظ الذي يخص به أهل عصر يكون مسترسلا على الأعصار كلها ولا يخص به أهل العصر الأول)[2] والقاعدة الأصولية ترى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب و(قال بعضهم النص يكون مختصا بالسبب الذي كان له السياق، فلا يثبت به ما هو موجب الظاهر وليس كذلك عندنا، فإن العبرة لعموم الخطاب لا لخصوص السبب، فيكون النص ظاهرا لصيغة الخطاب، نصا باعتبار القرينة التي كان السياق لأجلها)[3].

ولهذا أشار الطباطبائي أن (القرآن نزل هدى للعالمين يهديهم إلى واجب الاعتقاد، وواجب الخلق وواجب العمل وما يبينه من المعارف النظرية، وحقائق لا يختص بحال دون حال ولا زمان دون زمان، وما ذكره من فضيلة أو رذيلة أو شرعة من حكم عملي يتقيد لفرد دون فرد ولا عصر دون عصر لعموم التشريع وما ورد من شأن النزول لا يوجب قصر الحكم على الواقعة لينقضي بانقضائها ويموت بموتها لأن البيان عام والدليل مطلق)[4].

فمن ما لا شك فيه يشكل سبب النزول سواء كان يخص شخصا أو حادثة تأريخية أو موقفا فهما سياقيا يدل على الحال أو الموقف، ولكن البعد التأريخي لهذا المفهوم يتطلب دقة في رواية سبب النزول، أو الحادثة التي لا ريب أنها تحتاج إلى سلسلة تأريخية يدخلها الثقة، وسبب النزول إذا كان برواية دقيقة فهو الموضح الأكبر لدلالة سياق النص. وفي مثل هذه الحال لا بد أن يكون الناقل ثقة أو يرد النص عن سلسلة ثقات، أو يرد من جهات مختلفة

تتفق على مفهوم دلالي موحد، فقد دخل أسباب النزول كثير من المبالغات. وكثيرا ما تنقل الحوادث على شكل قصص وهذه القصص تنقل باساليب مختلفة، وقد يعتمد أحيانا على تصورات الراوي واجتهاده في تعليل الحوادث، وفي مثل هذه الحال فقدت الدلالة روحها.

---

1 – عبد الرحمن ، طه: البحث اللساني (الرباط : منشورات طلبة الآداب بالرباط ، 1984) سلسلة ندوات ومناظرات.
2 – السمعاني ، منصور بن محمد بن عبد الجبار: قواطع الأدلة في أصول الفقه ،تحقيق عبد الله بن حافظ بن احمد الحكمي وعلي بن عباس الحكمي ج1(الرياض مكبتة التوبة ، 1998) ص228.
3 – السرخسي ،أبو بكر احمد بن ابي سهل: اصول السرخسي ، تحقيق ابو الوفى الافغاني ج1 (حيدر آباد ، الدكن بالهند : لجنة احياء المعارف النعمانية 1993) ص 164.
4 – الطباطبائي ، محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن ج1 ص42.

وفضلا عن ما تقدم يجدر الإشارة إلى مقتضى الحال، فهو (الإعتبار المناسب الذي يستدعي اشتمال الكلام على سمات وخصائص أسلوبية تناسب المقام أو الحال الذي يلقى فيه، والكلام عند البلاغيين لا بد أن يراعى فيه السياق نفسه، أو حال المتكلم وإحساسه بقوة المعنى الذي يتحدث عنه، وحال المخاطب وما يحيط به من ظروف مختلفة) [1].

فالموقف لوحده أحيانا لا يسعف، إلا إذا عزز بحوادث أخرى دون أنشطة لغوية واجتماعية أخرى فالنص (لا يتحدد إلا من خلال استخدامه في موقف ما، أي المحيط الثقافي والاجتماعي، والحضاري فضلا عن المحيط اللغوي للعلاقات المحددة بالسياق، إذ أدى إلى توسيع دائرة المكون البراغماتي* في تحليل النص إلى التركيز في الظروف والأصول والملابسات والمرجعيات التي تصاحب الحدث اللغوي وتقدير دورها في تشكيل البنية الدلالية للنص)[2].

وما تقدم ينضوي تحت اطار السياق الحالي أو المقامي، وهذا ما كان يبحث عن استنطاق النص القرآني إعتمادا على أسباب النزول في ما يخص تأويل القرآن الكريم، وهنا لا بد من سياق الحال أو السياق الاجتماعي للوصول إلى المقصد.

ونستنتج مما تقدم أن أسباب النزول لها صلة وثيقة بالموقف والحال الذي نزلت فيه الآية، ولكن لا بد من العود للإشارة إلى أن النص القرآني هو نص لا يخص زمنا فحسب، بل يخص كل زمن ما لم يدخله الناسخ، فان دخله الناسخ فقد يتحدد بزمانه دون غيره من الازمان، وحينئذٍ يكون حكمه حكم السياق الراهن كما عبر عنه فانديك فالموقف عنده (متوالية من الحالات، والمواقف التبليغية لا تظل متشابهة عبر الزمن بل متغيرة، ومن أجل ذلك فإن الموقف التبليغي متوالية الأحداث، ويشير فانديك إلى ما يسمى بالسياق الراهن وهو السياق الممكن في حالة محددة، وهو يتحدد بجزء من الزمان والمكان اللذين تتحقق فيهما النشاطات المشتركة بين المتكلم والمستمع اللذين يحددان خواص الـ (هنا) والـ (الآن) منطقيا وفيزيقيا ومعرفيا)[3].

ولا يخفى على الدارس أن أسباب النزول يدخلها الزمان والمكان ،وهذا ما يتفق مع السياق التأريخي وسياق الموقف والحال، وقد عبر عنه فانديك بالراهن، ولا يمكن فهم دلالة اللفظ

.

---

1 – العبد ، محمد / المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة (القاهرة : مكتبة الآداب 1994) ص 40 .

* البراغماتية قياس صدق القضية بنتائجها العملية ، وهي طريقة حل المشكلات والقضايا بواسطة وسائل عملية.

2 – البستاني ، بشرى و وسن عبد الغني : في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم ، دراسة نظرية ،(الموصل ، جامعة الموصل ،2011)ص 190.

3 – العبد ، محمد : المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة ص 40 .

إلا بسياقه في مثل هذه الحال ، فقوله تعالى على سبيل المثال ((ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُالْكَرِيمُ))[1] وهذه الآية نزلت في أبي جهل كما ورد (عن عكرمة قال : لقي النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا جهل ، فقال أبو جهل :لقد علمت أني أمنع أهل البطحاء ، وأنا العزيز الكريم . قال : فقتله الله يوم بدر وأذله ، وعيره بكلمته ، ونزل فيه)[2] الآية المذكورة آنفا وهذا ما(يحدده الموقف والزمان والمكان، فمن ما لا شك فيه أريد بهذا المعنى الإهانة لأننا لو تأملنا هذا الكلام على الفهم اللفظي ولو بالدلالة الأولية ، فلا يمكن أن يفيد معنى أريد به الموقف ، وقد ذكر الزركشي ذلك (أن دلالة السياق ، ترشد إلى تبيين المجمل، والقطع بعدم إحتمال غير المراد ، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظراته)[3].

وهذا يعني أن فهم النص القرآني يتطلب فهم أسباب نزوله فقد ذكر الواحدي أن (لا يمكن معرفة تفسير الآية وسبيلها دون الوقوف على قضيتها وبيان نزولها) [4].

والفهم الدلالي للآية يترتب على صياغتها وطريقة التعبير، (ولا شك أن صياغة الآية وطريقة التعبير عنها يتأثر إلى حد كبير بسبب نزولها ، فالاستفهام مثلا لفظ واحد ولكنه يخرج إلى معان أخرى كالتقرير وغيره ولا يفهم المراد إلا بالأمور الخارجية والقرائن الحالية)[5].

فقوله تعالى ((وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ))[6] فالملاحظ ان الدلالة الأولية لسياق النص القرآني تظهر أن للإنسان الحق أن تكون قبلته في أية جهة من الجهات التي هو فيها، ولا يحتاج في هذا التوجه إلى القبلة التي أمر الله تعالى أن يتوجه إليها، وهذا الفهم الدلالي ضمن السياق يراه أي قاريء للآية المباركة ، وهنا لا بد من الرجوع إلى أسباب النزول لكي يتسنى للقاريء أن يفهم المعنى المقصود ، ودون الرجوع لأسباب النزول يكون المعنى مطلقا.

وأسباب نزول الآية (أن رسول الله (ص) هاجر إلى المدينة وكان أكثر أهلها اليهود – أمره الله تعالى ان يستقبل بيت المقدس. ففرحت اليهود فاستقبلها بضعة عشر شهرا وكان رسول الله (ص) يحب قبلة إبراهيم فلما صرفه الله تعالى إليها ارتاب من ذلك اليهود. وقالوا: ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ فانزل الله تعالى ((فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)))[7].

---

1 - الدخان /49 .
2- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد: أسباب النزول (بيروت دار الكتب العلمية ، 2000) ص10.
3 - الزركشي ،أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ج 2(بيروت : دار المعرفة،1985)ص199.
4- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد: أسباب النزول ص196.
5 - العطار ، داود / موجز علوم القرآن داود العطار ص 130.
6 – البقرة / 115.
7- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد: أسباب النزول ص62.

ففي هذه الحالة اشترك الموقف في تفسير الآية التي لم يعرف مضمونها إلا في أسباب النزول، وقيل أن أسباب نزولها (أنها نزلت في الصلاة المستحبة يستطيع الانسان أن يؤديها على راحلته أينما اتجهت الراحلة دون اشتراط الاتجاه نحو القبلة)[1].

وكلا السببين يصبان في مصب واحد وهو أن القبلة المقصودة التي يصلي إليها المسلمون هي واحدة في حالة الوجوب، والذي حدد دلالة السياق في الآية هو سبب النزول، وإلا لا يكفي الفهم الدلالي السياقي لمعرفة المراد.

---

1 – شيرازي ، مكارم : الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ج 1 (قم ، الناشر: مدرسة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام ،1426هـ) ص303.

الفصل الثالث

السياق الصوتي للقرآن

السياق الصوتي للقرآن

لا ريب أن الانماط الصوتية للسياق القرآني، لها أثر في المشاركة في فهم المعنى من خلال السياق، والصوت القرآني معجز لو تأمله المتأمل، فقد يلاحظ أن وظيفة الصوت في السياق تعطي معاني مختلفة، ودلالات متنوعة، إلا أن المعنى الكامن وراءها مقاصده واحدة، وهذا التنوع الصوتي يتجسد في التراكيب التي تعطي بعدا جماليا في الأداء، فضلا عن استشعار المعنى بقوة، حيث يتناغم مع الوظائف اللغوية في السياقات المختلفة فينتج ظواهر لغوية في ذهن المتلقي، ومن هنا أعطى علماء اللغة أهمية كبرى لدراسة الصوت القرآني، ولا يخفى هذا الأمر على كل متتبع، وقد كان لهذه الدراسات الأثر في لفت ذهن القاريء، فالقراءة القرآنية تحتمل أمورا لا بد من الوقوف عندها، والظواهر الصوتية في القرآن الكريم تختلف كثيرا عن الظواهر الصوتية اللغوية، لما لاقت من أهمية وعمق في دراسة النص القرآني، وقد اشتهر قراء كثيرون في أزمان متقدمة ولا زال هذا المسار جاريا، إلى يومنا هذا، وقد وضعت قواعد صوتية للتجويد الذي عرفوه بأنه (علم من علوم العربية، موضوعه الكلمات القرآنية وهو يبين مخارج الأصوات وصفاتها. وطريقة نطقها مركبة بحسب ما يجاورها، ويوضح مقدار الحركة في المقصور والممدود، وكل هذه المباحث تدرس تحت مصطلح علم الأصوات، وهو يشمل النوعين المعروفين بإسم علم الأصوات العام، وعلم الأصوات الوظيفي، فعلم الأصوات العام يدرس الأصوات من حيث نطقها وانتقالها وادراكها ومنه علم الأصوات النطقي الذي يعنى بدراسة الوحدات الصوتية وتحديدها تحديدا دقيقا، وتوضيح ما تتعرض له بحسب ما يجاورها)[1].

والمستفاد هنا من علم الأصوات الوظيفي، انه لا بد من تعرض الكلمة في السياق إلى نبرة معينة أو تنغيم أو إيقاع معين، وهذا مما يعزز الفهم الدلالي في السياق، إذ لا يمكن اعتماد الصوت الواحد في الكلمة الواحدة ما لم يشكل وظيفة صوتية مع ما يجاور اللفظ من لفظ آخر.

وفي هذا السياق لا بد من التعرض إلى التنغيم والنبر لأنهما عاملان مساعدان في فهم النص أو الجملة القرآنية من خلال السياق.

---

1 - سويد ، عبد الله عبد الحميد : أحكام التجويد في القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث دراسة مقارنة ، ط 2، (القاهرة : جامعة عين شمس ، كلية اللآداب ، قسم اللغة العربية 1985) ص7.

التنغيم وأثره في استشعار المعنى

النغم لغة

(النغمة: جرس الكلمة وحسن الصوت في القراءة وغيرها، وهو حسن النغمة، والجمع نغم، قال ساعدة بن جؤبة:

لو أنها ضحكت فتسمع نغمها رعش المفاصل صلبه متجنب)[1]

والتنغيم: (ويعني المصطلح الارتفاع والانخفاض في طبقة أو درجة الصوت، ويرتبط هذا الارتفاع والانخفاض بتذبذب الوترين الصوتيين اللذين يحدثان النغمة الموسيقية، أي التنغيم بهذا المفهوم يدل على العنصر الموسيقي في نظام اللغة)[2].

(والتنغيم هو درجة ارتفاع الصوت وانخفاضه على مستوى الجملة أو العبارة، ونجد معظم اللغات مثل العربية والانجليزية اللتين تستخدمان التنغيم)[3].

ويعرفه إندريه مارتينيه (بأنه ما يبقى من المنحى التناغمي بمجرد أن تعطي الضرورات ذات الطبع النغمي النبري)[4].

من خلال ما تقدم يبدو أن لهذا المصطلح واقعا عمليا ووظيفيا في اللغة، وهذا ما لا ينكره منكر، إذ ان كل تصرف لغوي يعطي نمطا خاصا بالحديث، فنجد واقع التنغيم لا يخلو عند كل متحدث، والتصرف مع الآخرين هو الواقع الحاكي لذلك.

فبلا شك أن النغم تظهره الاهتزازات الصوتية، وهذا ما له علاقة بالحالة النفسية للمتكلم، وبظروف المتكلم، فالشخص الفرح أو الحزين لا بد أن ينعكس فرحه وحزنه على كلامه لايصاله إلى المتلقي بما يناسب المقام، والطفل يبحث عن نغم يتلاءم مع استشعاره عاطفته، او حاجته التي لا بد أن يعبر عنها بأسهل وأسرع الطرائق. ومن هذا ومن خلال ما مر في التعريفين اللغوي والاصطلاحي، نجد نوعا من التوافق في إظهار مفهوم التنغيم، والسياق يشترك بشكل كبير في استشعار المعنى من خلال التنغيم، فقد يقرأ بعضهم كلاما فيه حزن ولكن لا يعرف طريقة أدائه، وهنا تختفي أو تنعدم الدلالة الصوتية عند القاريء، ولا يمكن أن يفهمها المتلقي،

---

1 - ابن منظور، محمد بن مكرم : لسان العرب ج1(باب الميم فصل النون) ص590.
2 - التميمي ، صبيح : دراسات لغوية في التراث القديم صرف تركيب دلالة معاجم (عمان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،2003) ص 163.
3 - المصدر نفسه ص163.
4 - مارتينه ، اندريه : وظيفة الالسن وديناميتها ترجمة نادر السراج (بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1989) ص206.

وهناك من نجده يتفنن في اداء كلامه ونبراته، فينغم كلامه ليخرجه مؤثرا يحرك المشاعر، وهذا المفهوم ليس حديثا، بل هو قديم قدم الانسانية، وقصة الحطيئة مع الزبرقان بن بدر من الشواهد الجميلة، التي لوحظ فيها الزبرقان بن بدر منفعلا متألما من كلام الحطيئة القاسي، فقد أتى الزبرقان بن بدر وهو من كرماء العرب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يشكو من الحطيئة فقال للخليفة (إنه هجاني فقال وما قال لك؟ فقال، قال:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقال ما أسمع هجاءً، ولكنها معاتبة جميلة فقال الزبرقان: وما تبلغ مروءتي أن آكل وألبس!! (والله يا أمير المؤمنين ما هجيت ببيت قط أشد علي منه، سل بن الفريعة - يعني حسان بن ثابت- فقال عمر (رض) علي بحسان. فجيء به فسأله عمر فقال لم يهجه ولكن سلح عليه)[1].

فلو تأملنا كلام الحطيئة لوجدنا أنه قد تلي بطريقتين، طريقة الشاعر التي بلا شك الهجاء واقع في طيات نغمها ونبرها، وطريقة أداء الزبرقان التي لم تُؤدى بطريقة الشاعر نفسها، ويمكن استشعار المعنى من خلال قوة النبرة والتنغيم على فعلي الأمر في صدر البيت وفي بداية عجز البيت.

ولا يخفى ان اختلاف التنغيم له الاثر في اختلاف المعاني، فقد يتغير المعنى من الاستفهام إلى النفي إلى غير ذلك لإبانة المعنى المراد، والسياق لا بد أن يكون هو المحدد لذلك.

واشتهر (إن العرب ترفع الصوت بما النافية والجاحدة وتخفض الصوت بالخبرية، وتمكن الاستفهام بحيث تصير بين بين أي بين النافية والخبرية مثال ذلك إن قال قائل: ما قلت، ويرفع الصوت بها يعلم أنها نافية ، وإذا خفض الصوت يعلم أنها خبرية، وبين بين يعلم أنها استفهامية)[2].

ومما يعزز القول المتقدم قوله تعالى ((أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنْ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لاَ يَرْجِعُونَ * وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ * وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ *))[3] فقوله تعالى ((وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ)) فسرت فيه ما بأنها إما استفهامية أو مصدرية أو نافية أو موصولية، والذي يحدد هذا المفهوم السياق الصوتي بلا شك فإن ارتفع الصوت بما كانت نافية ،وإذا كان الصوت بين بين كانت ما استفامية ، وإن خفض بها الصوت كانت مصدرية ، وقد اختلف فيها

---

1 - ابن شبة ، أبو زيد عمربن شبة النميري : تأريخ المدينة المنورة ج 4 ، تحقيق، فهيم محمد شلتوت (مكة المكرمه 1979 المكرمة) ص786.

2 - السمرقندي ، شمس الدين محمد بن محمود : جمع نجوم البيان في الوقوف وماءات القرآن (المدينة المنورة مكتبة عارف حكمة) ص198.

3 - يس / 33 ، 34 ، 35.

(من أي الماءات هي؟ نقول فيها وجوه أحدها نافية كأنه قال: وما عملت التفجير أيديهم بل الله فجر وثانيها: موصولة بمعنى الذي كأنه قال والذي عملته أيديهم أي من الغراس بعد التفجير يأكلون منه أيضا ويأكلون من ثمر الله الذي أخرجه من غير سعي من الناس، فعطف الذي عملته الأيدي على ما خلقه الله من غير مدخل للإنسان فيها وثالها: هي مصدرية على قراءة من قرأ وما عملت من غير ضمير عائد معناه ليأكلوا من ثمره وعمل أيديهم يعني يغرسون والله ينبتها ويخلق ثمرها فيأكلون مجموع عمل أيديهم وخلق الله، وهذا الوجه لا يمكن على قراءة من قرأ مع الضمير)1.

فالمعنى هنا لا يمكن استشعاره إلا من خلال نبر الصوت أو تنغيمه وقد مر ذكر ارتفاعه وانخفاضه وتوسطه ليكون دلالة في ذهن المتلقي، فيفصح عن المعنى المراد ولم تكن هذه الدراسة حديثة كما يزعم البعض، فهي موجودة في النظم القرآني والدراسات البلاغية ، إلا ان في الدراسات البلاغية طغى عليها علم المعاني، فكانت دراسة الاغراض اقرب إلى البلاغة من الدراسات الدلالية الصوتية، ولكن لو تأملها المتأمل لوجد أنها لا تفترق عن الدراسات الصوتية.

(وظاهرة الاصوات التي تسمح بزيادة الضغط عليها في سياق الكلام خلال القراءة والتعبير به أو في ترتيل القرآن الكريم أو في التنغيم هي ظاهرة قد كشف عنها العلماء المفكرون الاوائل)2.

فالتنغيم كما مر له الاثر الكبير في فهم المعنى من خلال السياق، (ومن المواطن التي يصير فيها التنغيم ظاهرة موقعية في السياق أن يعمد المتكلم إلى التظاهر بأمر هو عكس ما يتطلب الموقف من تنغيم كأن يقص المتكلم أمر حادثة مات فيها عدد من أصحابه، ولكنه يبدو هادئا في سرد القصة لئلا يثير أحزان السامعين بصورة أشد، فيصطنع لها الكلام ما يحتمل نغمة الحسرة والجزع، نغمة أخرى فيها هدوء وتماسك، فهنا يعطي الجملة وظيفة جديدة ونغمة غير نغمتها التي في النظام ويكون التنغيم ظاهرة سياقية)3.

ويتفق المحدثون مع علماء العربية أو التفسير القدامى وقد مر ذكر ذلك، (أما المحدثون فيعرفون التنغيم بأنه موسيقى الكلام ، وهياكل من الانساق النغمية ذات أشكال محددة ، فالهيكل التنغيمي الذي تأتي به الجملة الاستفهامية وجملة العرض ، غير الهيكل التنغيمي لجملة الاثبات، وهي تختلف من حيث التنغيم عن الجملة المؤكدة ،فلكل جملة من هذه الجمل

1 - الرازي ، فخر الدين محمد بن عمر بن : التفسير الكبيرج26 (بيروت : دار الكتب العلمية بيروت 2004) ص68.
2 - قحطان، عبد الكريم أسعد : المقطع والكم والنبر في بنية اللسان العربية (عدن : جامعة عدن 2007) ص18.
3 - حسان ، تمام : اللغة العربية معناها ومبناها ، ص227 .

صيغة تنغيمية خاصة، ومن ثم فهو يعني تتابع مجموعة من الاصوات التنغيمية للدلالة على معنى معين)[1]

ومما تقدم يبدو أن أغلب الآراء بل تكاد تكون كلها متفقة على تعريف النغم، بغض النظر عن القديم والحديث، فاذا أنعمنا النظر في القديم وبخاصة في الدراسات التي تتعلق بالظواهر القرآنية، وجدنا أن هذا الأمر كما تقدم في البحث لم يكن حديثا، بل دراسته قديمة قدم القراءات القرآنية، ومن الاجحاف أن يقال لا وجود لظاهرة التنغيم ، أو الدلالة الصوتية في الدراسات القديمة ، وهنا يمكن القول إن النغم يعتمد على ظواهر صوتية تدلك عليها عوامل يفصح عنها السياق عند استشعار المعنى، كزمن الاداء، والوقف والابتداء وهذا ما اهتم به علماء التجويد اهتماما كبيرا فقد أولوا فصولا للوقف والابتداء، وظهرت دراسات تختص بذلك، كما أن مقدار الانفعال والحس القلبي المتمثل بالحالة النفسية والشدة هي من العوامل الصوتية المساعدة في فهم السياق، وهناك وسائل مساعدة في الكتابة القرآنية، أو في الصوت القرآني ، أما ما يتعلق في الكتابة القرآنية فهي علامات الوقف والابتداء ، مثل (ج ، قلى ، صلى ، مـ ، س) وغيرها وتعني الوقف الجائز، والوقف الأولى ، والوصل الأولى ، والوقت اللازم، والسكتة اللطيفة وغيرها.

أما الصوتية فهي المتعلقة بأحكام التجويد كالمد وأحكام النون ، وهي من وسائل التنغيم المهمة التي تعطي لونا من ألوان الفهم واستشعار المعنى فضلا عن تنغيمه ،فقد ذكر الزركشي (إن الحكمة من كثرة الحاق المد واللين والنون وجود التمكن من التطريب بذلك قال سيبويه: إنهم إذا ترنموا يلحقون الألف والياء والنون، لانهم أرادوا مد الصوت، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا وجاء القرآن على أسهل موقف وأعذب مقطع)[2].

والترنم أوالتطريب هو عامل مساعد في الفات النظر والانتباه الذي يؤدي في نهاية المطاف إلى التركيز على المعنى وفهمه.

---

1 - أنيس ، ابراهيم /الأصوات اللغوية (القاهرة : مكتبة النهضة مصر ومطبعتها 1985) ص 123.

2 - الزركشي ،أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ج1 (بيروت : دار المعرفة 1958) ص68،69.

النبر والدلالة

النبر في اللغة: كلمة النبر عند العرب تعني الهمز وشدة الصياح، لأن العرب يقولون نبر فلان إذا هو همز في كلامه و (النبر بالكلام الهمز وفي الحديث أن رجلا قال: يا نبيء الله، فقال النبي (ص) لا تنبر باسمي أي: لا تهمز وكل شيء رفع شيئا فقد نبره، وانتبر الأمير فوق المنبر، وسمي المنبر لارتفاعه وعلوه، وانتبر الجرح إذا ورم)[1].

(ورجل نبار، فصيح الكلام، ونبار بالكلام فصيح بليغ، وقال اللحياني رجل نبار صيّاح. ابن الأنباري: النبر عند العرب ارتفاع الصوت يقال نبر الرجل نبرة إذا تكلم بكلمة فيها علو وأنشد:

إني لأسمع نبرة من قولها فأكاد أن يغشى علي سرورا

والنبر صيحة الفزع ونبرة المغني رفع صوته عن خفض)[2].

النبر في الاصطلاح

(هو نشاط في جميع أعضاء النطق في وقت واحد، تعظم لذلك سعة الذبذبات ويترتب عليه أن يصبح الصوت عاليا واضحا في السمع، والمرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، ليجعله بارزا وأوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة وهذا الضغط هو الذي نسميه بالنبر)[3].

في التعريفين كليهما اللغوي والاصطلاحي يبدو أن النبر نشاط لغوي دلالي يشارك في إيضاح المعنى، فالمستفاد من التعريف اللغوي في القول إن النبّار الفصيح أي ان النبر يشارك في إيضاح المعنى، وبما أن الكلام يساق والنبر علو الصوت فيه فالنبر هنا الإفصاح في فهم السياق، ونستفيد أيضا من القول ونبرة المغني رفع صوته عن خفض .

إن النبر التركيز بنغمة أعلى أو بصوت لاستشعار المعنى المراد. ولو تأملنا التعريف الاصطلاحي لوجدنا ان لا فرق بينه وبين التعريف اللغوي.

---

1 – الفراهيدي ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد : العين ج8 ، ط2 ، تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي (طهران :مؤسسة دار الهجرة) ص269.

2 - ابن منظور، محمد بن مكرم : / لسان العرب ج5ص189(باب الراء فصل النون).

3 - أنيس ، ابراهيم /الأصوات اللغوية : ص 170- 171.

(ومهما يكن فإن للنبر ملمحا صوتيا مكملا للبناء اللغوي، وله قيم مهمة في هذا البناء على المستويات اللغوية كافة، فهو على المستوى الصوتي يمنح الكلمة أو الجملة نوعا من الأداء النطقي الذي يميزها من غيرها ويساعد على تحديد هيئتها التركيبية.. أما النبر على مستوى الجملة فله قيمة دلالية واضحة)[1].

ويبدو من خلال الدراسات اللغوية الحديثة، أن بعض الباحثين يقول جزافا ،أو دون استنطاق اللغة العربية ودراستها دراسة تأملية دقيقة ، إن اللغة غير نبرية وهذا ما لا يعقل، إذ لا يوجد لغة غير نبرية، وإن وجد فما الدليل على ذلك ، فلو راجعنا تأريح اللغة لظهر أن النبر بدأ منذ بداية حياة الإنسان ولم يكن وليد لحظة ، إلا ان التوسع في الدراسات الصوتية - بلا شك - يتطور عصرا بعد عصر، والدلالات لا تبدو ثابتة المقاصد فقد تتغير بتغير المقام أو الزمن وهذا ما ذكره علماء العربية فأفردوا له أبوابا بل كتبا خاصة. كما ان النبر لا يتحدد من خلال الجملة بل يتحدد من عدة عوامل، منها الموقف والانفعال، وما ينعكس على المتلقي والقائل. فيشير بعض الباحثين ان (للنبر العربي أربعة مواضع أشهرها وأكثرها شيوعا المقطع قبل الأخير. وقد يعمد المتحدث إلى كلمة بعينها في جملة فيزيدها نبرا يميزها دون غيرها من كلمات تلك الجملة، حتى يعطي وضوحا أو تأكيدا أكثر لتلك الكلمة ومعناها في الجملة، وإن كان هذا النبر يسمى نبر الجملة إلا انه من الناحية العلمية ما هو إلا نبر لكلمة أولمقطع بعينه في كلمة الجملة. ولأن العربية غير نبرية في أصلها فإن النوع الأول من النبر، الذي يأتي بالسليقة في الكلام ولا يوهم السامع بمعنى لا يقصد المتحدث)[2].

فالقول بعدم النبرية في العربية، أو العربية غير نبرية فيه إجحاف - كما مر - ذكر ذلك فالنبر واقع في العربية وخير قول دلالي على ذلك قوله تعالى ((وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ))[3] وقد فسر المفسرون لحن القول (بفحوى كلامهم ومعناه ومقصده ومغزاه، لأن الكلام يدل على ما في ضميره)[4] ويرى بعضهم أن لحن القول (أسلوبه وإمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه مثل لمخطيء لاحن لأنه يعدل بالكلام من الصواب)[5].

---

1 – بشر ، كمال :علم الأصوات (القاهرة: دار المعارف 1980)ص 524 و 226.

2 – أرباب ، سيد حسن / النبر في القرآن الكريم ، (الخرطوم : جامعة افريقيا العالمية دراسات دعوية العدد 17 كانون الثاني 2009) ص 156.

3 – محمد/ 30.

4 – الطبرسي. أبو علي الفضل بن الحسن : مجمع البيان في تفسير القرآن ج 9 ، تحقيق السيد هاشم الرسول المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي ،(بيروت : دار المعرفة بيروت 1986) ص176.

5 – البيضاوي ، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد ت : أنوار التنزيل واسرار التأويل المسمى بتفسير ج 5 ، تحقيق ، محمد صبحي الحلاق ومحمد الاطرش (دمشق : دار الرشيد – ومؤسسة الايمان بيروت ، 2000) ص 196.

ويبدو أن الآية المباركة، أو ما قاله المفسرون في تفسيرها تعني أن طريقة الكلام أداء هي التي حددت المعنى، فالحالة النفسية للمتكلم وطريقة نبره وصوته كل هذه شاركت في فهم سياق الآية المباركة، والدليل هو مقدم الآية في قوله تعالى (لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ) وهذا ما يتعلق بتعبير الوجه الذي هو الوسيلة المساعدة لفهم المعنى أو لفهم دلالته ، فضلا عن لحن القول والفعل الثاني ولتعرفنهم مؤكد بنون التوكيد أي أن لحن القول وطريقته وإمالته كما عبّر المفسرون دليل على كشف زيفهم وادعاءاتهم حين قال (ولا يفوتني هنا أن أشير إلى أن دراسة النبر ودراسة التنغيم في العربية الفصحى يتطلب شيئا من المجازفة ذلك لأن العربية الفصحى لم تعرف هذه الدراسة في قديمها ولم يسجل لنا القدماء شيئا على هاتين الناحيتين، وأغلب الظن أن ما ننسبه للعربية الفصحى في هذا المقام إنما يقع تحت نفوذ لهجاتنا العامية لأن كل متكلم بالعربية الفصحى في أيامنا هذه يفرض علينا من عاداته النطقية العامية الشيء الكبير)[1].

ويبدو أن هذا الكلام فيه نوع من المبالغة، فاللهجات العربية ليست حديثة والقرآن قريء بسبع أو بعشر لغات كما هو معروف، ثم أن اللغات النبرية كما يطلق عليها البعض هي لغات ملأى باللهجات حتى أن اللهجات تختلف من الريف إلى المدينة ومن المدن إلى العواصم وهكذا ، إذن فلا علاقة للهجات بهذا الموضوع.

ثم يعود الدكتور تمام حسان فيقول (وهذا ابن جني يشير إشارات لطيفة إلى النبر والتنغيم عندما عرض كلام العرب)[2].

ويظهر مما تقدم أن الكلام فيه تردد وحيرة إذ يعود الدكتور حسان فيقول (ولعل مثل هذا الكلام فيه مجازفة على اللغة العربية ، ذلك أن العرب وإن لم يفردوا لهذه المسائل أبحاثا مستقلة فلا يعني أنهم أغفلوا الحديث عنها وتركوها طي النسيان فبها (النبر والتنغيم) في ذلك مثل الصرف في بداية النحو العربي، كانت مسائله تدرس مع النحو وبقيا توأمين مرتبطين إلى أن انفصلا وصار الصرف علما قائما بذاته له علماؤه وتصانيفه، وان نظرة إلى كتب النحاة واللغويين ترينا عناية هؤلاء العلماء بمثل هذا المبحث)[3].

ومما تقدم يبدو أن القول في النبر واقع في اللغة العربية لما له أثر في فهم اللفظ أو السياق فإن (للنبر أثرا في تغيير بنية الكلمة من معنى صرف إلى معنى آخر فأنت لو نطقت كلمة كتب مثلا بفتحة على عين الفعل لوجدت أن الأصوات فيها متساوية نبرا،

---

1 - حسان ، تمام : مناهج البحث اللغوي ،(الدار البيضاء : دار الثقافة ، 1974) ص163.
2 - المصدر نفسه .
3 - المصدر نفسه .

لكن إذا ما نطقتها كتّب بالتضعيف فإن عين الفعل تفاوت في النبر عن الأصوات الأخرى، ومن البديهي ان تغير الصفة الصرفية يؤدي إلى نوع من التغيير في الوظائف النحوية)[1].

وهذا ما يعطي اللغة العربية خصوصية في تميز أصواتها ودوافع النبر فيها فإن (للعربية شبها قريبا باللغات النبرية من حيث توظيف النبر وتوزيع درجاته توزيعا مناسبا لمقاصد الكلام على مستوى الجملة، فمن المعروف أن لكل جملة أو عبارة تحتوي عادة على مجموعة من الكلمات ذات الأهمية النسبية، وتختلف الأهمية النسبية باختلاف الجمل نفسها وباختلاف المقامات المناسبة لها، فتنوع هذه المقامات والمواقف اللغوية يؤثر حتما في درجة الأهمية بالكلمات)[2].

وموضوع البحث هنا يتجلى في الدراسات القرآنية أو المنهج القرآني، الذي يبدو النبر فيه واضحا. وأدلة هذا في القرآن كثيرة وقد وردت دراسات صوتية كثيرة في مجال الصوت واهميته وكان لعلم التجويد الأثر الكبير في هذا، وقد أمر الله تعالى أن يرتل القرآن بقوله تعالى ((وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا))[3] وقوله تعالى ((أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا))[4] ويبدو هنا جليا أن القراءة الصوتية حدد مسارها في القرآن، وأفضليتها في الترتيل وهذا دليل واضح على أن القراءة أو الصوت القرآني له أهمية كبرى في إيضاح دلالات المعنى وهنا لا بد من الإشارة إلى المواضع التي تجلى فيها النبر وأعطي أهمية كبيرة.

الأحرف المقطعة في القرآن الكريم

وهي فواتح السور القرآنية التي فسر معناها بكثير من التفاسير، وجرى نزاع عند علماء التفسير في أهميتها ودلالتها في النصوص القرآنية، ولكن المتأمل في هذه الآيات- أي الحروف المقطعة في بداية الآيات القرآنية- يلحظ أنها ذات دلالة صوتية أريد بها دلالة المعنى، وأن موضوع النبر ظاهر فيها لإلفات نظر المستمع إلى كلام الله، وهذا أسلوب لم يعهد في العصر الجاهلي، بل هو حديث أو مستحدث عندهم لذلك كان له أهمية كبرى في الالتفات إلى معاني القرآن.

وهذه الحروف سميت بالمقطعة لأنها تقرأ مقطعة أي كل حرف يقرأ بمفرده، ومن الملفت للنظر أن أغلب السور التي جاءت الحروف المقطعة في بداياتها تتحدث عن الكتاب أو القرآن.

---

1 – الحوراني ، يوسف عبد الله : التنغيم ودلالته في العربية (دمشق : مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد 60 ، جزء 4 ، 1985) ص 369 .

2 – بشر ، كمال : علم الأصوات (القاهرة : دار المعارف 1980) ص523.

3 – الفرقان/ 32.

4 – المزمل/ 4.

وهذا مما يعزز قول من قال بأنها حروف للتنبيه، فقريش كانت عندما تأتي للإستماع إلى رسول الله (ص) كانت تلغو لئلا يسمع كلامه، فعندما يسمع السامع حروفا قبل الابتداء بالآيات والتركيز عليها بطرق نبرية ، ينتبه السامع ويتوجه للاستماع إلى ما يقوله الرسول في هذه الآيات ، وهذا الأسلوب غير معهود في خطابات العرب قبل الإسلام ولذلك أصبح ملفتا للنظر، وإن الأقول التي قيلت في فواتح السور هي في التصور نظريات لم تدخل إلى باب التصديق ، ولذلك كثرت الآراء وتكررت ، يرى بعض علماء التفسير أن الحروف المقطعة (هي أصوات للتنبيه كما في النداء، عمد إليها القرآن ليكون في غرابتها ما يثير الالتفات وقد ترك ما ألفوا من ألفاظ التنبيه إلى ما لم يألفوا، لأنه لا يشبه كلام البشر فيكون أبلغ في قرع الأسماع)[1] ويبدو أن ذلك التنبيه ما أريد به إلا التنبيه الصوتي الذي يرد بطريقة نبرية، وقد استعملت العرب أسلوب افتتاح كلامهم ببعض أحرف التنبيه قبل قراءة الشعر قبل خطبهم ، لكن لم يعهد الأسلوب نفسه عندهم و(الغرض من أدوات التنبيه إنتباه السامع إلى ما يراد إلقاؤه واستعمل حروفا لم تجر العادة باستعمالها ، بسبب أن المألوف في السمع يمر دون أن يحرك في النفس ساكنا، أو يوقظ في الفكر نائما، أو ينبه به غافلا، فإذا طرق السمع جديد غير مألوف ، تحرك الساكن، وتنبه الغافل ، واستيقظ النائم ، ومثل هذا يجري دائما في اساليب الكلام وفي مختلف وسائل التنبيه)[2].

وفي الآيات المباركة التي افتتحت بالاحرف المقطعة يلاحظ أن دلالتها الصوتية، للوصول إلى ما هو مهم في السياق ظاهر فعند ملاحظة قوله تعالى ((الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ))[3] وقوله ((حمَ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ))[4] وقوله تعالى ((الر* كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ))[5] فالدلالات هنا واضحة من خلال السياق وأن الكلام الذي سيأتي بعد الأحرف المقطعة كلام يحتمل بل يختص بالعقائد كتوحيد الله وعظمته وعظمة القرآن الكريم ، ونستشف مما تقدم أن النبر واقع في مقدمة هذه الآيات، ويستفاد منه التنبيه الذي يعطي مدلولات للآيات المباركة، التي تتعلق بخطورتها وأهميتها في مجال العقيدة، وأسلوب التنبيه بلا شك هو أسلوب صوتي، وفن من الفنون الأدائية التي تلفت الأنظار.

---

1 - ياسين ، إحسان طهى: الحروف المقطعة في القرآن ، دراسة تفسيرية (تكريت : مجلة جامعة تكريت للعلوم) ص 182.
2 - الميداني ، عبد الرحمن حسن حنبكة : معارج التفكر ودقائق التدبر (دمشق / دار القلم / ط 1 /2000) ص206.
3 - البقرة / 1.
4 - الدخان / 1-2.
5 - ابرهيم / 1.

الإيقاع في السياق القرآني

لا شك ان إيقاع النغم القرآني وموسيقاه قد لفت أنظار كبار بلغاء العرب عامة، وفطاحل شعرائهم خاصة، فشكل في ذاتهم استغرابا، وأصبحت أذهانهم في حيرة عند سماعه حتى تخبط بعضهم، فمنهم من يرى أنه شعر ثم لا يصمد على رأيه ولو لساعة، ومنهم من يراه نثرا ثم يضطر إلى ترك ما قال لأن إيقاعه ظاهر، ومنهم من يراه سجع كهنة فيرتد عن رأيه، لما يرى من اختلاف سجعه بما يوافق إيقاعه الذي لا يدركه ذهن من الأذهان، وكان مدار الحيرة لا يتوقف عند كلمة يقولها البلغاء ،حتى اضطروا إلى القول بانه ليس من كلام الإنس، فرأى بعضهم أنه من كلام الجن فأخفق في رأيه، وكل هذا يتعلق بمدار إيقاعه الذي لا يصل إلى معرفته أحد. فمن يستمع إلى إيقاع الشعر يرى خلله بمجرد تغير حركة أو سكنة أو سبب أو وتد، وعندما يأتي إلى القرآن يرى ان الأوزان كلها موجودة بلا استثناء ولكن عند تغيير إيقاعها يختفي الرأي ويحار الذهن، لأن الإيقاع لمّا يزل موجودا رغم تغيير نغمه إلى نمط آخر لم يؤثر في حلاوته وطلاوته، وهذا أدق إعتراف عبر به بلغاء قريش إذ أن الحلاوة والطلاوة ظاهرها الإيقاع ،وباطنها مضمون الكلام، لأن الكلام عند العرب بجمال إيقاع كلامها، فالشعر العربي يتضمن ستة عشر بحرا تلونت أنغامها وتفيعلاتها، وهذا ما لا تجده في أمة أخرى من الأمم، فبحور الشعر في الأمم الأخرى محدودة، أو أقل بكثير مما كان عند العرب، ومن هنا كان لقريش رأي في ذلك فقد (روي أن قيس بن عاصم المنقري قال للنبي (ص) أُتلُ علي مما أنزل عليك فقرأ سورة الرحمن فقال أعدها ثلاثا فقال والله ان له لطلاوة وإن عليه لحلاوة، وأسفله لمغدق وأعلاه لمثمر)[1].

(ونص إبن سيدة على الطلى اللذة، وإن لم يشتق كما قال لكثرة ط ل ي وقلة طلو وتطلى فلان إذا لزم اللهو والطرب)[2].

(وقال ابن السيرافي والمطلي: هو المغني)[3].

وفي رأي ابن سيدة وابن السيرافي أن الطلاوة ما يتعلق بالصوت والايقاع أو النغم ولا ريب أن الجمالية لها أثر في الواقع الأدائي، ومما يؤكد ذلك أيضا ما روي عن قصة (الوليد بن المغيرة أنه قال لرسول الله (ص) إقرأ علي فقرأ عليه ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)))[4].

---

1 - القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري : الجامع لاحكام القرآن ج 3 تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقوسي (بيروت : مؤسسة الرسالة – بيروت ، 2006) ص151.
2 - ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن حقبة الأنصاري : لسان العرب ج9 ص142(ط ل ي ، ط ل و).
3 - المصدر نفسه : ص143.
4 – النحل / 90.

ويبدو من كلام الوليد أن من جملة ما تأثر به الإيقاع، لأن الأشعار والأرجاز على تعبيره تعني الإيقاع، والحلاوة والطلاوة بلا شك تعني الجمال بكل معانيه اللغوية التي تختص بالكلام.

فالإيقاع في النص القرآني من الدلالات الواضحة على تمييز المظهر الصوتي للقرآن من النصوص الأخرى. فمن يتأمل القرآن الكريم يرى (أن النسق القرآني قد جمع بين مزايا النثر والشعر جميعا، فقد أعفى التعبير من قيود القافية الموحدة والتفعيلات التامة، فنال بذلك حرية التعبير الكاملة عن جميع أغراضه العامة، وأخذ في الوقت ذاته من الشعر الموسيقى الداخلية، والفواصل المتقاربة في الوزن التي تغني عن التفاعيل والتقفية المتقاربة التي تغني عن القوافي)[1].

وهذا يعني أن القرآن الكريم قد حصر كل ما يتعلق بالصوت لاستيفاء المفاهيم الدلالية، بواقع تأثيره الذي يجتذب النفوس فلو يتأمل الدارس نظام القرآن الصوتي يرى (اتساق القرآن وإئتلافه في حركاته وسكناته ومداته وغناته واتصالاته، وسكناته اتساقا عجيبا وإئتلافا رائعا يسترعي الأسماع ويستهوي النفوس بطريقة لا يمكن أن يصل إليها أي كلام آخر من منظوم أو منثور)[2].

ويبدو من خلال ما مر أن القرآن الكريم تتضح دلالته ،وينكشف المعنى الظاهر له من خلال الصوت، وبالأخص الإيقاع الذي يؤثر - بلا شك - في المعنى ،فيحاول إيجاد حالة استحضار ظاهرة، ولذلك يفهم دقة وقوة المعنى واستيفاء دلالته من خلال الفواصل، فقد سهل القرآن ذلك من خلال إختيار الالفاظ المستنطقة لمعانيها و(من تلك الألفاظ الحاقة، والطامة، والصاخة وهذه الصيغة تمتاز صوتيا بتوجه الفكر نحوها في تساؤل واصطكاك السمع بصداها المدوي وأخيرا بتفاعل الوجدان معها مترقبا الأحداث المفاجئات والنتائج المجهولة الحاقة، الطامة والصاخة كلمات تسترعي نسبة عالية من الضغط الصوتي والأداء الجهوري لسماع رنتها، من ما يتوافق نسبيا مع ارادتها في جلجلة الصوت وشدة الإيقاع)[3]

وعند تأمل الألفاظ المتقدمة وإيقاعها في السياق تبدو هي اللافت الأول لنظر أي قاريء أو مستمع لها باستيحاء دلالة تدل على خطورة الموقف ولو بالدلالة الأولية، ففواصل السور القرآنية لها أثر ظاهر في استنطاق المعنى الدلالي واستيحاء الدلالة والوصول إليها،

---

1 – قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن الكريم (القاهرة : دار الشروق 2002) ص102.
2 – الصابوني ، محمد : التبيان في علوم القرآن (بيروت : عالم الكتب 2002)ص109.
3 – الصغير ، محمد حسين علي : الصوت اللغوي في القرآن الكريم (بيروت : دار المؤرخ العربي ، 1420 هـ)ص 198.

وقد عبر عن هذا المعنى بالقول (أن الكلام إنما يقوم بأشياء ثلاثة: إما لفظ حاصل أو معنى قائم بذاته، ورباط لهما ناظم وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح، ولا أجزل، ولا أعذب من ألفاظه)[1].

وعند قراءة هذا المعنى يبدو أن النص القرآني تجمعه عدة عوامل لا بد من توافرها، وهي موجودة في النص القرآني، فاللفظ الحاصل هو الصوت وإيقاعه والمعنى ورباطه كما عبر عنه، يدل - بلا شك - على سياقه في النص، وهنا يستوحى من خلال الدلالة الصوتية والدلالة السياقية للمعنى أثر هذا المعنى، وهذا (ينطبق على استيحاء الدلالة الصوتية في القرآن بجميع الأبعاد، يضاف إليه الواقع السمعي واللفظ، والتأثير النفسي للكلمة، والمدلول الإنفعالي بالحدث، وتلك مظاهر متأنقة قد يتعذر حصرها، وقد يطول عند استقصائها. وكان من فضيلة القرآن الصوتية أن استوعب جميع مظاهر الدلالة في مجالاتها الواسعة وتمرس في استيفاء وجود التعبير عنها بمختلف الصور الناطقة، وقد يكون من غير الممكن استحضار جميع الصيغ في استعمالات منها أو ما يبدو أنه مهم على الأقل، وذلك باستطراد بعض النماذج النابضة، فما أخال وأزعم وقد يعبر كل نموذج منها على مظهر فني ينقاس مثله عليه، وشبيهه به، وبذلك يتأتى للباحث أو المتلقي إلقاء الضوء على أبعاد دلالة القرآن الصوتية في تشعب جوانبها وعظمة إنطلاقها، مما يكوّن معجما لغويا خاصا بمفرداتها، وقاموسا صوتيا حافلا بامكانها)[2].

ولم ينحصر الإيقاع في آيات دون أخرى بل هو شامل في القرآن الكريم، وإن تلون الإيقاع من آية إلى آية يستنطق الدلالة في السياق فيعطي دلالة إيحائية بدائية يستنطق من خلالها المعنى، فآيات الأحكام لها نمط خاص في الدلالة الصوتية، وآيات الترغيب توحي إيحاءً نفسيا إلى صورة ذات إيقاعات جميلة مختلفة عن آيات الترهيب، وهذا ما يمكن ملاحظته في شدة الإيقاع وقوته وانسيابيته وكل له دلالة ظاهرة.

الإيقاع العروضي للقرآن ودلالته

مما لا شك فيه ان الإعجاز الفني في القرآن الكريم ظاهر لا يحتاج إلى قراءة ناقل أو تأمل متأمل، وإن كلام العرب يتجسد أو تعلو مراتبه في الشعر لأن الإيقاع يعطي معاني دلالية تثير الأسماع فتلفت الأنظار، والقرآن جاء بكلام العرب ومما لا شك فيه إن الاعجاز ظهر جليا

---

1 - الخطابي ، حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب : بيان إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) تحقيق: محمد خلف الله أحمد، ود.محمد زغلول سلام ط3 (القاهرة : دار المعارف ، 1976) ص27.

2 - الصغير ، محمد حسين علي / الصوت اللغوي في القرآن الكريم ص 48.

في النمط الإيقاعي للقرآن، فلو أراد أي باحث في هذا المجال أن يحصي أوزان الشعر لأحصاها، وعجز أن يحصي الإيقاع القرآني، فالأوزان العربية كلها موجودة في القرآن الكريم فضلا عن معكوسات الأوزان ، وكل ما ورد في الدوائر العروضية عند الخليل، فتجد الطويل ومعكوسه المستطيل والمديد ومعكوسه الممتد وهكذا، وهذه الإيقاعات لها أثر بارز في المشاركة في استنطاق المعنى الدلالي، والإيقاع هنا هو تحدٍ لما ورد عند العرب وإيقافهم عند إيقاع محدود، أما (في العصور الإسلامية فإن الشعراء ترسموا خطى أسلافهم فنظموا في ذات الأوزان والبحور التي نظم فيها شعراء العرب في العصر الجاهلي ثم اهتدوا فيما بعد إلى أوزان جديدة قادتهم إليها ظروف عدة، أهمها ذلك الإيقاع المدهش الذي انطبعت به عبارات وجمل ومقاطع الآيات القرآنية المباركة الذي تمثله الشعراء فاستوحوا منه الأشكال والأنماط الجديدة من الأوزان الشعرية)[1].

فمن الأوزان العروضية ما يعطي نمطا دلاليا إيحائيا للحماسة كقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ))[2] وإيقاع الآية يوافق السريع وهو والرجز من البحور التي اشتهر النظم بها على الحماسة أو التوجيه ، حتى عرف الرجز بأنه ينظم في أوقات الحرب وتفعيلاته قريبة من السريع، ومن إيقاع الرجز الذي اشتهر إيقاعه بالحماس واختص دون غيره إذ كان يعرف من ينظم به بالرجاز، وقد اختص شعراء به كرؤبة بن العجاج ، ومن أمثلة هذا الإيقاع في القرآن الكريم قوله تعالى ((اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى))[3] والبعض من الإيقاعت تدعو إلى التسلية كقوله تعالى ((وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ))[4].

فهي من إيقاع الوافر إذا ضمت الميم المتصلة بالفعل يخزهم، ومن هنا يستوحي هذا النمط مافيه تسلية لقلوب المؤمنين، وهذه الإيقاعات معروفة عند الجاهلية إلا أنها لم تأتِ بمثل ما جاء في القرآن الكريم، حيث ان النمط القرآني الصوتي فيه إعجاز وفيه حلاوة وطلاوة، وقد مر دليله في ما تقدم من البحث باعتراف بلغاء الجاهلية، وهناك أوزان لم تكن معهودة كوزن شعري نظم فيه إلا بعد عصر القرآن، ومنها البحر المتدارك، ولم يشتهر النظم بهذا البحر إلا بعد الخليل حتى قيل أن الأخفش هو الذي استحدثه ولكن (القفطي يذكر لنا أن الخليل نظم من هذا الوزن وكان نظمه على (فعلن فعلن فعلن فعلن) وتميز هذا البحر بسرعة إيقاعه)[5].

---

1 - شاملي ، نصر الله وماجد نجاريان : الإيقاع القرآني وتأثيره في أوزان الشعر العربي ،(اصفهان : جامعة اصفهان ، كلية اللغات ، مجلة العلوم الإنسانية العدد 12 سنة 2005) ص 44 .

2 - لقمان / 33.

3 - طه / 24.

4 - التوبة / 14.

5 - خضير ، علي حميد : الجديد في العروض ، 69 ط 2 (بيروت / عالم الكتب والنهضة العربية 1986) ص69.

ويظهر جليا أن الإيقاع الداخلي للآيات الكريمة الذي يتسارع كان له عمق دلالي فالآية الكريمة هي تسلية للرسول (ص)، ورد على من اتهمه بأنه أبتر وهنا يبدو أن الإيقاع شارك في الدلالة فأصبح لافتا للنظر متحديا مَن وصف النبي بهذا الوصف رغم قصر السورة المباركة.

فواصل السور

الفواصل: جمع فاصلة (والفاصلة في القرآن هي آخر كلمة في الآية وهي بمثابة السجعة في النثر وبمنزلة القافية في النظم)[1].

وسميت الفاصلة فاصلة لأنها تفصل بين الآيتين الآية التي هي رأسها، والآية التي بعدها. (فالفواصل هي إذن الكلمات التي تتماثل في أواخر حروفها، أو تتقارب صيغ النطق بها. وهذه الفواصل من جملة المقصود من الإعجاز في القرآن الكريم، لأنها ترجع إلى محسنات الكلام وهي من جانب فصاحة الكلام، من الغرض البلاغي الوقوف عند الفواصل، لتقع في الأسماع فتتأثر بها نفوس السامعين بمحاسن ذلك التماثل)[2].

والفواصل أقسام هي:

1 - فواصل متماثلة: وهي ما تماثلت في الوزن وحرف الروي كقوله تعالى ((إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ* فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ* إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأبتر))[3].

2 - فواصل متفقة في الوزن مختلفة في حرف الروي ومن التي تتفق في الوزن وتختلف في حرف الروي قوله تعالى ((إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا * يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ *))[4].

3 - فواصل متفقة في حرف الروي مختلفة في الوزن ومنه قوله تعالى ((فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ **عَن** صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ))[5].

وهناك فواصل أخرى غير هذه الفواصل وقد تعتمد على النمط الإيقاعي. وقد حدد علماء القرآن والبلاغة الفواصل بما يندرج ضمن مفاهيم دلالية، حيث إن الفواصل القرآنية لا يراد بها الجمالية والنسق كما يعتقد البعض بل أريد بها محاكاة المعنى فوضعوا لها أبوابا تتعلق بعمق المعنى هي كالآتي:

---

1 - الجندي ، على : صور البديع (القاهرة : دار المعرفة والنشر 1951) ص193 .
2 - البع ، رمضان : دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم ، دراسة تحليلية ، مجلة الأقصى المجلد 13 العدد 2 ،(غزة : كلية الاداب ، 2002) ص8.
3 - سورة الكوثر / 1 – 3.
4 - المعارج / 6-9.
5 - الماعون / 4 – 7.

1-التمكين

(وهو أن يمهد قبلها تمهيدا تأتي به الفاصلة ممكنة في مكانها مستقرة في قرارها، غير نافرة ولا قلقة، متعلقا معناها بمعنى الكلام كله تعلقا تاما بحيث لو طرحت إختل المعنى واضطرب الفهم)[1].

وهذا هو عين المفهوم الدلالي إذ ان هذا التمكين في القافية لو اختل فاختلاله يعني اختلال المعنى وفهمه من فهم المعنى والوصول إلى دلالته.

2-التوشيح

(وهو أن يكون أول الكلام يستلزم القافية ومنه قوله تعالى ((يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ))[2]، فقوله تعالى ليروا أعمالهم يدل على التقسيم فإن العمل قسمان، والجزاء نوعان فإن كان العمل مثقال ذرة من الخير كان الجزاء خيرا، وإن كان العمل مثقال ذرة من الشر كان الجزاء شرا)[3].

ويبدو من خلال ما تقدم أن الفواصل لها دلالة معنوية والسياق يعرف من خلالها.

3-الإيغال

(وقد سمي الإيغال بذلك لأن المتكلم يكون قد جاوز المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ حد الزيادة ومنه قوله تعالى ((وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ))[4].

ويمكن القول: (إن الارتباط بين الفواصل والآيات التي سيقت من أجلها يدل على التحام الفاصلة في الآية إلتحاما عاما في النفس، وتتقبله أعظم قبول، وقد يظن في بعض الأحيان أن الآية تهيء الفاصلة بعينها ولكن القرآن الكريم يأتي بغيرها إيثارا لما هو ألصق بالمعنى وأشد وفاءً بالمراد)[5].

وقد تكون الفواصل إشارات إلى بداية وإنتهاء معنى الآية التي يراد عندها الوقف لإظهار

---

1 - الزركشي ،أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ج 3 (بيروت : دار المعرفة ، 1985) ص345.
2 - الزلزلة / 6-8.
3 - البع ، رمضان : دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم ، دراسة تحليلية ، ص 9 .
4 - البينة / 5.
5 - البع ، رمضان / دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم / دراسة تحليلية / ص 9-10.

المعنى المراد (فما ثبت أنه صلى الله عليه وسلم وقف عليه دائما تحققنا أنه فاصلة وما وصله دائما تحققنا أنه ليس فاصلة، وما وقفه مرة ووصله مرة أخرى احتمل الوقف أن يكون لتعريف الفاصلة أو لتعريف الموقف التام، أو للاستراحة، والوصل أن يكون غير فاصلة أو فاصلة وصلها لتقدم تعريفها)[1] .

ويبدو أن أغلب فواصل السور كانت تدرس هذه الظاهرة بعدّها ظاهرة صوتية غير تأملية لما يتناسب مع المعنى، وحقيقة الأمر أن هذه الدراسة ينبغي أن تكون إستقرائية تكاملية لكي تصل إلى كنه المعنى الذي يكمن وراء الفاصلة.

ويُستنتج مما تقدم ما يأتي:

1 - أن الفواصل القرآنية بمجرد سماعها من أي قاريء، تصل إلى ذهنية أي سامع على أنها أسلوب قرآني يكمن وراءه معنى عميق، يحتاج إلى تأمل فهي ليست فقط مظهرا جماليا أو بديعيا بل واقع دلالي، يرشد إلى دلالتين هما أهمية الأسلوب بعدِّه أسلوب القرآن الكريم وهذا ما لا يختلف فيه أي سامع عن غيره، والمظهر الثاني يكمن وراءه معنى دلالي يرشد إلى فهم سياق الآيات المباركة.

2 - إن الفواصل كما ورد في القول الذي ذكره السيوطي إنها تحدد بدايات السور ونهاياتها والوقف والابتداء، وهذا ما له علاقة بالمعنى، لأن المعنى لا يمكن أن يكشف إلا من خلال السياق والوقف والابتداء يحدد ذلك.

3 - إن الوقف المنبور على الفواصل كالحاقّة مثلا والطامّة، وفي غيرها من الآيات يعطي معاني دلالية إذا اشتركت فيه عوامل منها الوقف والنبر والايقاع وتمام المعنى وبيانه.

فلو تأملنا قوله تعالى ((إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ * وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ*))[2].
ففي الآيات المباركة يلاحظ أن الحديث عن النفس وما سترى من أهوال يوم القيامة،

---

1 - السيوطي ، عبد الرحمن بن كمال جلال الدين : معترك الاقران في اعجاز القرآن ج 1 تحقيق / أحمد شمس الدين دار (بيروت : الكتب العلمية / لبنان/1988)ص 24.
2 - التكوير /1- 5.

والفواصل القرآنية هنا وقصر الآيات أوحى بل أعطى إلى ذهنية السامع معنى دلاليا في هول القيامة (فكأنه إجمال يثير الرعب والقلق والخوف، حيث ينسى الإنسان عادة ما قدم في الدنيا)[1].

فالآيات المباركة التي تقدمت مصداق للمفاهيم الدلالية التي تتجسد في سياق الآيات المباركة، والتي تقودنا إليها بدلالاتها القوية الفواصل في السورة، ومن خلالها يفهم سياق المعنى وقوته، وقد لا يحتاج إلى تأمل واسع بل الدلالة يمكن أن تكون هنا إيحائية سهلة الفهم.

1 - أحمد ،عصام أسعد : المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها ، دراسة تطبيقية في سور جزء عم (غزة: الجامعة الإسلامية- كلية اصول الدين ، 2012) ص25.

الباب الثالث

الفصل الرابع

دلالة الأساليب اللغوية في السياق

دلالة القسم (لا أقسم) في القرآن الكريم

(القسم اليمين ويجمع على أقسام)[1] وقد ورد بألفاظ مختلفة منها أقسم وقاسم وتقاسم كقوله تعالى ((وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ))[2] وقوله تعالى ((قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ))[3].

ومما يلفت النظر أو ما يهم الباحث في المباحث الدلالية أن القسم بصيغة (لا أقسم) لها وقع آخر ودلالة أوسع، ولكن قبل تبيين أثرها الدلالي لا بد من الإشارة إلى ما قيل عن هذه الصيغة، التي ترددت في القرآن الكريم مثلا قوله تعالى ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ *))[4]. فابن كثير مثلا يرى أن لا (يؤتى بها في أول القسم إذا كان مقسما به منفي وهكذا هنا تقدير الكلام لا أقسم بمواقع النجوم ليس الأمر كما زعمتم في القرآن بأنه سحر بل هو قرآن كريم)[5].

ويرى صاحب الكشاف أن (إبراز فعل القسم وتأكيد وتعظيم المقسم به قد لا يقسم بالشيء إلا إعظاما له فكأنه بدخولها يقول: إن إعظامي لهذه الأشياء بالقسم بها كلام إعظام يعني أنها تستوجب من التعظيم فوق ذلك، وهذا التأكيد إنما يؤتى به رفعا لتوهم كون الأشياء غير مستحقة للتعظيم وللإقسام بها، فيزاح هذا الوهم بالتأكيد في إبراز فعل القسم مؤكدا بالنفي المذكور)[6].

وكلام الزمخشري أقرب للواقع ، فالتعظيم الحاصل لا بد له من مردود دلالي في الآية الكريمة، فلو تأمل المتأمل الآيات المباركة التي تبدأ بلا وبعدها فعل القسم لوجد أن أغلب هذه الآيات المباركة تتعلق بأمر عقدي له أهمية كبرى تتجلى في جواب القسم،

---

1 - الفراهيدي / أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد : العين ج5/ تحقيق مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي ط2 (مؤسسة دار الهجرة طهران 1409هـ) ص86.
2 - الأعراف / 21.
3 - النحل / 49.
4 - الواقعة / 75.
5 - ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ج1،تحقيق سامي بن محمد السلامة (الرياض ، دار طيبة 1999) ص544.
6 - الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل ج1، رتبه محمد عبد السلام شاهين (بيروت : دار الكتب العلمية 1995) ص 581.

وهنا لا بد من استنطاق الآيات والحصول على المنفذ الدلالي لفهم سياق الآية، وأكثر الآيات التي تبدأ بلا أقسم يلاحظ فيها ان المفسرين اجتزؤوا جزءً من الآية وتركوا ما تبقى من النص ، ولذلك يقصر الفهم الدلالي على الجانب النحوي واللغوي دون غيره، وهنا تكاد بعض دلالات هذا القسم الذي يكمن وراءه مفهوم عقدي يقف عند حد واحد، وهو التفسير اللغوي أو المعجمي وإذا تعدى ذلك كان مفهومه سطحيا، فلو نظر الدارس الى الآية المباركة نظرة تأملية في قوله تعالى ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ *))[1] لبدا له ان الوحدات الدلالية ترشده للوصول الى دلالة تستنطق المعنى ، ولوجد أن الأمر مختلف عن المفاهيم السطحية للنص، وبلا شك ان ظاهر القرآن حجة عند المفسرين إلا أن عمق الدلالة وفهم الوحدات الدلالية يتطلب من يتتبع النص القرآني بكامل مفاهيمه، وهنا يكمن وراء النص شيء عظيم بدلالة (لا أقسم) نفي القسم وتأكيده مرة أخرى بـ ((وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ)) فالمؤكدات هنا كثيرة في النص، أولها إن ولا وثانيهما الاعتراض بـ ((لو تعلمون)) ويبدو ان ما ذكر هو جمع وحدات دلالية لإيجاد مفهوم دلالي، والجواب قوله ((إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ*)) وقد مر مفهوما القرآن والكتاب ، وورودهما هنا أفاد تأكيد المعنى وقوله ((لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ)) أفاد معنى آخر، فالنص يتطلب فهم لهذه الوحدات الدلالية لأن (السياق إحتواء للقرائن على منظومة مفهومية كبيرة مؤلفة من عدد من منظومات مفهومية متداخلة أصغر تسمى في علم الدلالة حقول الدلالة وكثيرا ما يحدث أن القوة المعدلة لجملة المنظومة تفعل فعلها في الكلمة إلى حد انها تفقد تقريبا معناها المفهومي الأصلي. وعندما يحدث هذا يكون لدينا كلمة مختلفة، وبتعبير آخر تشهد ولادة كلمة جديدة)[2].

فلو درست الآية وحدة بعد وحدة كنفي القسم لتأكيده وتتبعت ما يليه، ثم تأكيده مرة أخرى بالمؤكدات فهذان المفهومان منحا النص عظمة ما يكمن وراءه ، والاعتراض كما تقدم بـ (لو تعلمون) والكتاب والقرآن فهنا منح المفهوم الدلالي النص تأملا أكثر عند الوصول إلى كلمتي (يمسه والمطهرون) فمفهوم المس لا يعقل أن يكون هنا اللمس وإن ورد تفسيره هكذا عند كثيرين، فالمس أمر يتعلق بالروح أو العقل بدلالة قوله تعالى ((إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ))[3].

---

1 - الواقعة / 75 – 82.

2 - ايزوتسو ، الباحث الياباني توشيهيكو : إستخدام علم الدلالة في فهم القرآن ، قراءة في تجربة ، د. عبد الرحمن (عمان : جامعة الأردن 2008) ص 10.

3 - الأعراف / 201.

وهذا الأمر يتعلق بالذهن دون غيره لأن طائف الشيطان لا يمكن أن يُتوقع فيه الجانب الحسي بل الوجداني وقوله تعالى ((وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ))[1].

والضراء والسراء مفهومان وجدانيان، فهنا دلت هذه الوحدة الدلالية على أن المس قضية وجدانية وليس مادية، وإلا ما فائدة القسم العظيم على ان القرآن لا يمسه إلاّ غير المطهر، فلو كان المعنى يقصد به اللمس فالقرآن يلمسه الآن الطاهر وغير الطاهر، ثم أن مفهوم المطهر غير مفهوم الطاهر، فالمطهر إسم مفعول والطاهر إسم فاعل وشتان بين الأمرين، فلو تأملنا قوله تعالى ((إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا))[2] لكان هناك وجه تقارب بين التطهير المطلق والمعنى الذي مر.

والملفت للنظر هنا أن قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم عند دراسة وحداته الدلالية يبدو أن المواقع غير النجوم، فالقسم ملفت هنا لأنه بالموقع وليس النجم (فهذا القسم القرآني المغلظ جاء بمواقع النجوم وليس بالنجوم ذاتها ،علما بان النجوم من أعظم صور إبداع الله في الكون وفي هذا القسم نلاحظ أن الفاء حرف عطف يعطف بها، فتدل على الترتيب والتعقيب مع الإشتراك، أو يكون ما قبلها علة لما بعدها، وتجري على العطف والتعقيب دون الإشتراك،..... وهذا القسم يشير إلى سبق في القرآن الكريم بالإشارة إلى إحدى حقائق الكون المبهرة والتي مؤداها أنه نظرا للأبعاد الشاسعة التي تفصل نجوم السماء عن أرضنا فإن الإنسان على هذه الأرض لا يرى النجوم أبدا، ولكنه يرى مواقع مرت بها النجوم ثم غادرتها)[3] وهذا يعني أن وراء النص تكمن حقائق يؤكدها السياق فلا بد من فهمها بالمفهوم الدلالي، ولو جمعت هذه الوحدات الدلالية لشكلت مفهوما جديدا واضحا ، وهو أن نوع القسم تكمن وراءه ظاهرة عقدية وهذا ما تلحظه في أسلوب (لا أقسم) فقوله تعالى لا يمسه إلا المطهرون أي ان هناك من يعقله ويفهم تفسيره وتأويله وليس المفهوم السطحي اللمس.

وقد ورد في القرآن الكريم طائفة من الآيات التي تدل على هذا المفهوم كقوله تعالى ((فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * ومَا لَا تُبْصِرُونَ))[4] فالقسم هنا يبين أن المفهوم الذي بعده في جوابه ((إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ)) ان ألأمر عقدي - بلا شك - وقوله تعالى ((فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ))[5].

---

1 - سورة الأعراف / 95.
2 - الأحزاب / 33.
3 - النجار، زغلول / عنوان البحث (فلا اقسم بمواقع النجوم) (جدة :الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة) www.eajaz.org
4 - الحاقة / 38 – 39.
5 - المعارج / 40.

وقوله تعالى ((لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ*))[1] وقوله تعالى ((فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ))[2] وقوله تعالى ((فَلاَ أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ* وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَن طَبَقٍ))[3] وقوله تعالى ((لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ*))[4].

ولو تأمل المتأمل هذه الآيات المباركة ووضعها موضع الإحصاء والتدقيق، ودرس الوحدات الدلالية دراسة تكاملية، لوجد ان عمق هذا القسم المبارك - بلا شك - أعطى مفاهيم دلالية توصل إلى ما يكمن وراء هذه الأقسام، ويظهر أن وراءها مفاهيم عقدية، إما تتعلق بأصول الدين أو بعظمة القرآن أو بعظمة الرسول الكريم (ص).

1 - القيامة / 1 ، 2.
2 - التكوير / 16.
3 - الإنشقاق / 15، 19.
4 - البلد / 1، 2 .

الإستفهام ودلالته السياقية

من الأساليب التي لها أثر واضح في الفهم الدلالي من خلال السياق، وإيضاح مقاصد النص القرآني، والإستفهام إما أن يكون حقيقيا أو مجازيا، ليتعدى إلى أغراض بلاغية تحاكي دلالات النص القرآني فتستنطقها من خلال السياق، وأغلب الإستفهام هو مجازي أريد به مفاهيم دلالية لا تخفى على ذهنية السامع.

والإستفهام (طلب العلم بشيء لم يكن معلوما من قبل، وهو الإستخبار الذي قالوا فيه: إنه طلب خبر ما ليس عندك وهو بمعنى الإستفهام)[1].

الإستفهام لغة (طلب الفهم: يقال فهِم وفهَم وفهامته وحقيقة استعلام المجهول، وفهمت الشيء عقلته وإستفهمه سأله أن يفهمه والفهم: معرفتك الشيء بالقلب)[2].

وقال إبن القيم الإستفهام: (هو أن يستفهم عن شيء لم يتقدم له علم حتى يحصل به علم)[3]

فالإستفهام (طلب الشيء وليس بخفي أن الطلب إنما يكون لما يهمك ويغنيك شأنه لا لما وجوده وعدمه عندك بمنزلة)[4].

ويبدو من التعريفات ان (الإستفهام واحد من أكثر الأساليب الإنشائية استعمالا وأهمية، ويراد به طلب الفهم أو معرفة ما هو خارج الذهن، وله أدوات متعددة يتميز كل واحد منها بالسؤال عن جهة من جهات الكلام، وقد عرض المفسرون لأدواته فأظهروا معانيها الأساسية والفوارق فيما بينها وبين المعاني البلاغية التي خرجت إليها وتنبهوا إلى آثار ذلك في جماليات النصوص وصلتها بقرائن المقام، وأهميتها في الكشف عن أسرار القرآن وخصوصياته في هذا الأسلوب الشائق الذي يكثر فيه وتنوع فوائده في التعبير والإثارة والتأثير)[5].

ومن ينظر إلى الكلام نظرة تأملية يجد أن جماليات النصوص وصلتها بالمقام يكمن وراءها دلالات ظاهرة يكشفها السياق، كما أن الأساليب التي يخرج إليها الاستفهام يوثق الوحدات الدلالية فيجد لها مفاهيم مختلفة، فالاستفهام عندما يخرج من معناه الحقيقي،

---

1 - عكاوي ، أنعام فول: المعجم المفصل في علوم البلاغة والبديع والبيان والمعاني (بيروت : دار الكتب 1992) ص122.
2 - مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (بيروت : مكتبة لبنان 2000) ص18.
3 - إبن القيم ، أبو عبد الله محمد بن ابي بكر بن ايوب : الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ، تحقيق محمد بدر الدين النعساني (القاهرة : مكتبة محمد الخانجي الكتبي وشركائه ، 1327هـ) ص191.
4 - السَّكَّاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي : مفتاح العلوم تحقيق أكرم عثمان (بغداد : منشورات جامعة بغداد ، مطبعة دار الرسالة ط 1982) ص541.
5 - الصغير ، محمود احمد : الأدوات النحوية في كتب التفسير (دمشق : دار الفكر سوريا ،2001) ص634.

يشكل في ذهن السامع دلالة يطلق عليها الدلالة الإدراكية، والدلالة الإدراكية لا بد لها من أن يفهم المعنى فهما تصوريا، وهذا ما يمكن إلتماسه في إشتراك أفراد البيئة اللغوية عادة، التي تشكل مفهوما يمكن إستكشافه من خلال الواقع الثقافي لأبناء البيئة الواحدة، أو إدراكه عن طريق عقل بإمكانه الإستنباط من خلال النص أو الفهم المشترك، أو من خلال علاقات التخاطب بين الأفراد، والإستفهام عندما يخرج إلى أغراض تتضح فيه الدلالات التي يشترك بها أسلوب الخطاب الذي تواكبه الحالة النفسية للمتكلم وطريقة الأداء، والمستوى الثقافي فضلا عن الواقع الاجتماعي في البيئة المشتركة في اللغة الواحدة، ومن هنا ومن خلال الأغراض البلاغية يتضح للمتكلم أو السامع مفهوم تلك الأغراض فالاستفهام يكون كالآتي:

1 - الإستفهام الإنكاري كقوله تعالى ((أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ))[1] وهنا لا يحتاج القول إلى تأمل لأن (الإنكار قد يجيء لتعريف المخاطب أن ذلك المدعي ممتنع عليه.. لأن إسماع الصم لا يدعيه أحد)[2] وهذا الأمر يتضح دلاليا من خلال السياق أنه مدرك عند السامع ولا يمكن أن يختلف عليه اثنان.

2 - التكذيب كقوله تعالى ((أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ *تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ))[3] والظاهر أن الآية الكريمة تعني في دلالتها التكذيب وإن كانت كلمة ضيزى تدل دلالة إيحائية على القسمة غير العادلة.

3 - إستفهام التعجب كقوله تعالى ((أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ))[4] ويبدو من خلال النص القرآني أن الإستفهام له دلالة واضحة على التعجب الظاهر من خلال الوحدات الدلالية في النص، فالسياق دل على مفهوم التعجب، فدلالة الإستفهام هنا أن حالة الأشقياء أنهم ما اعتبروا بحال من الأحوال. وهناك أمثلة كثيرة ظاهرة الدلالة كقوله تعالى ((كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))[5].

---

1 - الزخرف / 40.
2 - الزركشي ،أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ج2 (بيروت : دار المعرفة 1985) ص329
3 - النجم / 21 ، 22.
4 - الحج / 46.
5 - البقرة / 28.

4 - إستفهام الترغيب كقوله تعالى ((مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ))[1].

وهناك أغراض كثيرة يبينها السياق وما اعتماد علماء البلاغة على تلك المفاهيم وإخراجها إلى أغراض إلا هو فهم دلالي لسياقات النص، ولم يكن هذا الأمر مرتبطا بزمن من الأزمان، بل إن ظواهر الآيات المباركة تبين بشكل جلي دلالاتها ، فلو تأملنا قوله تعالى ((قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ))[2] لتبين أن المفهوم الدلالي ظاهر من خلال السياق إذ إن هذا الأمر أريد به التهكم على شعيب عليه السلام.

وأغراض الإستفهام يمكن أن يلتمسها القاريء أو السامع من خلال المعنى، فيتوصل إلى دلالة المعنى، لأن صيغة الخطاب هنا يراد بها تعيين المفهوم الدلالي، ولا غموض في الكلام وهذا يندرج تحت الدلالة الإدراكية من خلال سياق النصوص المباركة.

الإستفهام بـ (هل)

[إذا تأملت أداة الإستفهام هل في السياق القرآني وجدتها تريك مجموعة من الأفعال منها الأستواء والنظر والإتيان، لأنها تكاد أن تختص بالدخول على الأفعال لذلك ذهب بعض النحويين إلى ان (هل) في أصلها بمعنى قد أما الهمزة فهي تدخل على الأفعال والأسماء على حد سواء ودخول هل على الأسماء يعني أنها غير مقيدة بزمن، إذ إن الفعل من أهم القرائن التي تحدد زمن الحدوث، فمن اقتران هل بالإستواء يشكل معه حقلا دلاليا قوله تعالى ((ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ))[3]][4].

أو قوله تعالى ((قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ))[5] (فالمراد بالآية - والله أعلم بمراده - أنه لا يستوي أهل العلم وغيرهم من الجهال، فلا تعني الآية هنا المفعول، أي الذين يعلمون الفقه أو التفسير أو الحديث، الذي يعنيه أن العالمين

---

1 - الحديد / 11.
2 - هود / 87.
3 - الزمر / 29.
4 - عباس ، فضل حسن : البلاغة فنونها وأفنانها ط4 (الاردن : دار الفرقان،1997) ص286.
5 - الزمر / 9.

لا يستوون مع الجاهلين)[1].

وهذا ما يعطي الدلالة في السياق بعدا أوسع لفهم المعنى.

واللافت للنظر أن هناك إختلافا في طرائق الإستفهام، فإذا كان السؤال حقيقيا يسأل بطريقة (يسألونك) كقوله تعالى ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ))[2] فالسياق هنا يوضح الظاهرة الإستفهامية وجوابها، فيشكل وحدات دلالية تستشعر المعنى من خلال السياق بشكل واضح.

وهناك فارق بين السؤال في المكي والمدني (فالقرآن المكي يشمل على أصول الدين وهي توحيد الله، والإيمان به وبرسله واليوم الآخر، وينفر عن عبادة الأصنام، ومن الرذيلة ويحبب الجنة، ويشوق إليها ويهدد بالنار ويخوف بها وهو بذلك يخاطب الوجدان أكثر مما يخاطب العقل، لذا كان من المناسب لمقامه أن تقتصر آياته ويكثر في التمثيل ويزخر بالأساليب الثائرة التي تتمثل بالسؤال)[3].

والسؤال هنا عادة يظهر بالمجاز وليس الحقيقة، أما السؤال في المدني فالملاحظ (فيه الإستفهام الحقيقي إذا ما قيس بنظيره من القرآن المكي)[4] (ولذا نجد القرآن المدني حافلا بأنواع التشريع الديني والإجتماعي والسياسي كالصلاة والصوم والجهاد في سبيل الله وفرض الزكاة، وبيان صلة الحاكم بالمحكوم والوفاء بالعهود والمواثيق، وغير ذلك وكان القرآن المدني يخاطب العقل أكثر مما يخاطب الوجدان)[5].

---

1 - بيدق ، سالم : الحقول الدلالية ، هل في السياق القرآني(ليبيا : كلية الآداب جامعة السابع من آبريل المجلة الجامعة 2010) العدد 12

2 - البقرة / 219 .

3 - مصطفى ، وردة : السؤال في ضوء القرآن الكريم /(غزة : الجامعة الإسلامية غزة كلية اصول الدين، 2009) ص33.

4 - فودة ، عبد العليم: أساليب الإستفهام في القرآن الكريم (القاهرة ، دار الفنون والآداب 1984) ص495.

5 - مصطفى ، وردة : السؤال في ضوء القرآن الكريم : 34 .

دلالة النداء في السياق

النداء في اللغة (ندى الصوت: بعد همته ومذهبه وصحة حزمه قال:

بعيد ندى التغريد أرفع صوته سُحيل وأدناه شحيح محشرج

وناداه أي دعاه بأرفع الصوت. وفلان أندى صوتا من فلان أي أبعد مذهبا وأرفع صوتا)[1]

وفي الاصطلاح: (هو أسلوب من أساليب الانشاء الطلبي، وهو توجيه الدعوة إلى المخاطب وتنبيهه للاصغاء، وسماع ما يريده المتكلم، أو هو طلب الاقبال بالحرف (يا)أو إحدى أخواتها)[2].

من خلال التعريفين المتقدمين اللغوي والاصطلاحي يبدو أن المفهوم الدلالي للنداء، هو نبر الصوت وعلوه، وبلا شك أن النبر من الدلالات التي تبين المعنى من خلال السياق، والاصطلاح يوضح ذلك أكثر، فاسلوب الطلب بحد ذاته عامل للفهم الدلالي الاولي وهذا ما يبدو ظاهرا في القرآن الكريم عند النظر في آياته، أو سماعها تبدو القوة الدلالية، فبنية النداء القرآني تتمحور حول خطاب مميز يقود إلى دلالات يفرضها السياق الذي من خلاله ينكشف ذلك المفهوم الدلالي في النص وعمق دلالة النداء، كما يبدو ظاهرا من خلال النصوص القرآنية الكريمة أن النداء يخرج إلى معان كثيرة.

(أما دلالة النداء السياقية المقامية عملنا من خلالها على كشف أن النداء من الجمل الموسومة بنغم صوتي دلالي وظيفته تنبيهية إشارية إفهامية كما هي مجسدة في عدد من المواقع القرآنية، وعليه فالكثير من الجمل الندائية لا تفهم فهما صحيحا بمعزل عن المساق العام للنص القرآني الوارد فيه، وهنا يعنى به أسباب نزول الآية التي تواترت فيها البنية الندائية، وبمعنى أدق أن البنية الندائية لا تدرس معزولة عن سياقها وإلا أصبحت مجرد بنية غير واضحة)[3].

---

1 – الفراهيدي ، الخليل بن أحمد : العين ص 78.

2 – السامرائي ، إبراهيم عبود : الأساليب الإنشائية في العربية (عمان : دار المناهج للنشر ، 2008) ص61.

3- تريكي ، مبارك : النداء في القرآن الكريم ،(الجزائر : جامعة ابن يوسف بن خدة ،2006) .

والملاحظ أن النداء في القرآن الكريم قسم بين النداء للمؤمنين وهو أكثره، وفي الدرجة الثانية نداء عموم الناس، ونداء للرسول (ص)، ونداء للإنسان، ونداء للكفار في موضع واحد. ودلالات النداء ظاهرة من خلال السياق القرآني، فالملاحظ أن نداء الانبياء غير الرسول (ص) كلها وردت بأداء النداء (يا) وهي أداة لعموم النداء ومن ذلك قوله تعالى ((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ))[1]. وقوله تعالى لإبراهيم ((يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۖ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ))[2]. وقوله تعالى ((يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا))[3]. وقوله تعالى ((وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى))[4]. وقوله لعيسى (ع) ((إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ **مِنَ** الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا **إِلَى** يَوْمِ القِيَامَةِ ثمَّ **إِلَيَّ** مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فيما كنتم فيه تختلفون))[5].

من خلال سياق الآيات القرآنية التي خاطب الله بها تعالى رسله وأنبياءه، يبدو ان الخطاب بحرف النداء (يا) الذي لعموم المخاطبين ظاهرا في السياق، وان وراءه فهما دلاليا غير الخطاب الذي خاطبه لرسوله الكريم محمد (ص) ، فقد كان خطابه لرسول الله (ص) بـ (يا أيها) ويبدو ذلك من خلال النصوص القرآنية منها قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))[6]. وقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))[7]. وقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ))[8]. وقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ))[9]. وعند إحصاء الآيات التي نادى الله بها رسوله تبين أن (يا ايها الرسول) وردت لمرتين، و(يا أيها النبي) وردت لاثنتي عشرة مرة فضلا عن المزمل والمدثر، ولم يرد حرف النداء (يا) منفردا كما خوطب به كل نبي ورسول وقد ورد أن الله تعالى خاطب عموم الرسل بـ (يا أيها) في قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ))[10].

---

1 – البقرة / 35.
2 – هود / 76.
3 – مريم / 12.
4 – طه / 17.
5 – آل عمران / 55.
6 – المائدة / 67.
7 – الأنفال / 64.
8 – المزمل / 1.
9 – المدثر / 1.
10 – المؤمنون / 51.

وهنا يبدو من خلال السياق أن المخاطبة للرسول (ص) هي مخاطبة تشريفية كما يبدو من السياق، وقد يكون المعنى الدلالي أن الرسالة عند الرسول (ص) هي جامعة، ولكن التشريف أقرب للفهم الدلالي، فالظاهر أنه (لم ينادِ سبحانه وتعالى نبيه (ص) باسمه في القرآن تزكية لمقامه الشريف حيث خاطبه بلفظ رسول ونبي فحاز الدرجتين مع رفعة الرسالة والنبوة، وهذه الآية تبين فصلا من فصول جدال النبي (ص) مع المنافقين واليهود في إنكار حدود الله عملوا على إبطالها تارة وإنكارها تارة أخرى بالكذب والإفتراء، فلما ازدادت جرأتهم على جحود الحدود أنزل الله هذه الآية مواساة لنبيه على العنت الذي وجده من أولئك الكفار الذين أنكروا حدي القتل ورجم الزاني المحصن في ما يروى من أسباب نزول الآية)[1] ويمكن فهم التشريف هنا بدلالة أولية، فعدم ذكر إسم الرسول كما ذكر الأنبياء والرسل دليل ظاهر على أهميته وتشريفه، وإلفات نظر الآخرين، وظواهر الآيات المباركة التي مرت أن الله شرف الرسول بهذا النداء لما كان يعانيه ممن عاندوه ووقفوا بوجه دعوته، وظاهر دلالة ذلك تبدو من خلال خواتيم الآيات المباركة فقوله تعال ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))[2] فالظاهر من الأمر هو تحد ونكران لرسالة الرسول وعدم عصمته في نظر أولئك المعاندين، ثم ان الأمر عقائدي، فالتبليغ هنا واجه الإنكار والملاحظ أن أغلب الآيات إما أن تكون عقدية أو تشريعية.

نداء الله

الظاهر من خلال السياق القرآني أن النداء من البشر إلى الله تعالى لا يكون مصدرا بحرف نداء، بل يقدر حرف النداء كقوله تعالى ((وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ))[3] وهنا دليل ظاهر على إن استخدام النداء من الله لعباده يكون مبدوءً بـ (يا) لأن النداء يشمل القريب والبعيد وغيره ، أما ترك النداء عند مخاطبة الباري عز وجل ففيه دلالة على ان الوصول إليه بلا واسطة ، وأدوات النداء تقيد المخاطب والمخاطب يعلم بكل شيء

---

1 – السيوطي ، ابوعبد الرحمن جلال الدين : النقول في أسباب النزول (بيروت ، دار إحياء العلوم ، 2002) ص91 ،92 .

2 – المائدة / 67.

2 – البقرة / 126.

و(لعل حذف أداة النداء يساعد في تقريب المسافة بين المنادى والمقصود من النداء، ليتم الوصل به وبالمقصود بأقل مسافة زمنية)[1] والملاحظ هنا أن للتنغيم والنبر أهمية كبيرة في الفهم الدلالي، فرفع أداة النداء والقول مباشرة بالدعاء لله تعالى أرجح وأجمل نبرا، وإن كانت الأداة من أهم القرائن (فإن التعرف إلى أن بنية التراكيب الندائية إنما تتوضح بقرينة التنغيم الخاص به وهي بذلك تعد قرينة لفظية أخرى من قرائن التعليق اللفظي)[2].

النداء بيا ليت

إن الأسلوب التعبيري فضلا عن التركيب النحوي، يشكلان ظاهرة دلالية عميقة في نفس المتكلم وذهنه ففي أسلوب (يا ليت) الذي صدر بالنداء يظهر المفهوم الدلالي دالا على معنى التحسر والتأوه بما مضى ومنه قوله تعالى ((يا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً))[3]

وهذا ما يتفق مع الدلالة الإيحائية أو الدلالة الأولية، وهي التي يفهمها السامع بمجرد مرورها عليه لكثرة إستعمالها فلذلك تشكل عنده معنى التأوه والتحسر.

---

1 – العمري ، فريد : محمد مجلة الأثر (المدينة المنورة : جامعة طيبة المدينة المنورة ، العدد 7 ، كانون الثاني 2013) ص47.

2 – حسان ، تمام : اللغة العربية معناها ومبناها ص 224 – 226.

3 – النساء / 73.

الباب الثالث

الفصل الخامس

دلالة ضرب الإمثال في النص القرآني

دلالة ضرب الأمثال في السياق القرآني

لا شك أن للمثل تأثيرا في سلوك الناس، هذا ما يمكن التماسه في عموم تاريخ الإنسانية وفي كل الأمم، لأنه قريب من حياة الناس، ودلالته واضحة لا تحتاج إلى تعمق في مفاهيمه، والمثل من أوضح السبل البيانية إلى أذهان الناس.

والمثل القرآني بلا أدنى شك له مردود إيجابي على سلوك الناس وتفكيرهم، لما له من علاقة إجتماعية وثيقة تتعلق بمعتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وظاهر الأمثال في سياق النص القرآني تقود إلى دلالات واضحة، لأن بنية المثل ظاهرها مشهور فضلا عن حكمته التي تخاطب العقل والوجدان (والمثل تجتمع فيه ثلاث خصال إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه)[1].

المثل في اللغة: (المثل بالكسر الشبه والجمع أمثال والمثال مخرجه الحجة والصفة والمثال: المقدار والقصاص وإلى غير ذلك من المعاني)[2].

والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة ليبين أحدهما الآخر نحو (الصيف ضيعت اللبن)[3].

والمثل في الاصطلاح: (قسم من الحكم يرد في واقعة لمناسبة اقتضت وروده فيها ثم يتداولها الناس في غير واحد من الوقائع التي تشابهها دون أدنى تغير لما فيه من وجازة وغرابة ودقة في التصوير ولأجل ذلك قال أبو تمام:

ما أنت إلا مثل سائر يعرفه الجاهل والخابر)[4]

1- الفيروزآبادي ، مجد الدبن أبو طاهر محمد بن يعقوب : القاموس المحيط ج4 (بيروت: دار العلم للجميع،2005) ص9.

2 - البكري ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الاندلسي : فصل المقال في شرح كتاب الأمثال ج 1، تحقيق إحسان عباس وعبد المجيد عابدين (بيروت: مؤسسة الرسالة 1971) ص45.

3 - الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد : المفردات في غريب القرآن ، تحقيق صفوان عدنان الراوي / (دمشق: دار القلم الشامية 1412هـ) ص494 .

4 - الشنقيطي ، محمد الأمين بن محمد المختار الجكني : أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ج 7(بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر 1995) ص431.

والمثل القرآني في الاصطلاح (نظم من التنزيل يعرض نمطا واضحا معروفا من الكائنات أو الحوادث الكونية أو التأريخية لافتا للأنظار، يشبه أو يقارن به سلوك بشري أو فكرة مجردة، أو أي معنى من المعاني، يقصد التوضيح أو الإقناع، أو البرهان، أو التأثير، أو لمجرد الإقتداء به، أو التنفير منه والابتعاد عنه أو يقصد بيان الفارق بين أمرين متناقضين للاخذ بأحدهما والابتعاد عن الاخر أو للبرهان على صحة أحدهما أو بطلان الاخر)[1].

ومما تقدم من خلال التعريفات يبدو واضحا أن الإشارات الدلالية على ان المثل دلالته واضحة ظاهرة، وان كثرة التداول والاستعمال بين الناس منح المثل قوة دلالية في الأذهان والظاهر أن القرآن أكد هذا المعنى في قوله تعالى ((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))[2].

والمثل كما هو ظاهر لا يفهم لفظا بل يفهم من خلال سياق النص القرآني، ولذلك تتبين دلالته ظاهرة من خلال النص القرآني، أما اللفظ بمفرده فلا يكفي لفهم المعنى بل يشير أحيانا إلى إشارات دلالية تقود لاستيحاء المعنى.

(وقد ضرب الله ورسوله الأمثال للناس لتقريب المراد ولفهم المعنى وإيصاله إلى ذهن السامع، وإحضاره في نفسه بصورة المثال الذي مثل به، فقد يكون أقرب إلى تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره، فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير. ففي الأمثال تأنس النفس وسرعة قبولها وانقيادها لما ضرب لها مثله من الحق أمر لا يجحده ولا ينكره وكل ما ظهرت الأمثال ازداد المعنى ظهورا ووضوحا، فالأمثال شواهد المعنى المراد وهي خاصية العقل ولبه وثمرته)[3].

ويظهر مما تقدم أن المثل له استحضاره في النفس مما يؤدي إلى فهم دلالته، فهو كفيل باظهار المعنى ودلالته ذهنية منطقية وقد تكون أحيانا إيحائية تؤدي إلى طريق المعنى المراد.

---

1 - النحلاوي ، عبد الرحمن / التربية بضرب الأمثال (بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر ، 1995) ص19.

2 - الحشر / 21.

3 - ابن قيم الجوزية ، أبو بكر عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب : أعلام الموقعين عن رب العالمين ج1 ، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيدة (القاهرة: دار ابن الجوزي، 2008)ص/291.

وللأمثال مردود دلالي اجتماعي يتعلق بحياة الناس، ولكن تبدو دلالته ظاهرة من لفظين وردا في بعض الآيات الكريمة كقوله تعالى ((وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))[1] وقوله تعالى ((مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ))[2] وقوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))[3].

فظاهر الآيات الكريمة تبدو فيها دلالة المثل اجتماعية، ونهاية فواصل الآيات دلالتها المركزية تدل على التفكر والتذكر، والتفكر مردود عقلي منطقي لا يمكن أن يخرج إلى أعمق من فهم الظاهرة الدلالية أو يحتاج إلى تأمل مستغرق للفهم، بل الدلالة ظاهرة وواضحة، والتذكر واضح وظاهر أيضا، وهو بدلالته الظاهرة يتطلب عدم الغفلة، فالفهم واضح ودلالة المثل ظاهرة والتذكر والتفكر أريد بهما تحريك النفس وعدم جمودها، وهما أمران سهلا المطلب بالرجوع إلى المثل لأن (مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو أبرزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية وصورته كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها وشب من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس بها، ودعا القلوب إليها، واستثار من أقاصي الأفئدة صدمة وكلفا وفسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا فإن كان ذما مسه أوجع)[4].

والمردود الاجتماعي ومفهومه الدلالي ينسجمان مع بيئة الإنسان فيكون المثل أسهل وأوسع في فكر المجتمع لتعلقه بأمرين المجتمع والبيئة ومن هنا يرى (أن كل خطيب يتأثر بالظروف التي يعيش فيها وبسهولة يمكن فرز الكلام المدني من الكلام القروي، وكلاهما عن كلام البدوي، وما ذلك لأن البيئة تعد أحد الأضلاع الثلاثة التي تكون شخصية الإنسان، وما هذه إلا انعكاسات البيئة في التراث الأدبي، ولكن القرآن بما أنه كلامه سبحانه قد تنزه عن هذه الوصمة، لأن الله سبحانه خالق كل شيء فهو منزه من أن يتأثر بشيء سواه.

ومع ذلك فالأمثال القرآنية لهداية الناس ولذلك روعي فيها الغايات التي نزلت لأجلها فنجد أن الطابع المكي يعلو هامة الأمثال المكية والطابع المدني يعلو هامة الأمثال المدنية)[5].

---

1 – الحشر / 21.

2 – هود / 24.

3 – إبراهيم / 24 – 25.

4 – الجرجاني ، عبد القاهر : أسرار البلاغة ،تحقيق محمود شاكر أبو فه (الفاهرة : مكتبة الخانجي 1991) ص101،102.

5 – السبحاني ، جعفر / الأمثال في القرآني الكريم (قم : مؤسسة الإمام الصادق 1998) ص3.

فمن الأمثال التي ضربت متناسبة مع المجتمع المكي قوله تعالى ((مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ))[1].

فالملاحظ من الآية المباركة هو الحديث عن المشركين في مكة إذ (أن صفة المشركين في اتخاذهم من دون الله أولياء كصفة العنكبوت في اتخاذها بيتا لها)[2].
والمثل الذي ضرب تُفهم دلالته من خلال السياق و(مرجع هذه الدلالة هو التبادر العام في العرف العربي بما يعطي من دلالة خاصة بها ومراعاة هذا العرف ذو أثر مهم في الدلالة المعينة للكلمة)[3]. فالبيئة هنا لها أثر في المعنى السياقي للمثل القرآني وهو أن المثل أدواته أو بالأحرى ألفاظه مترسخة في البيئة الإجتماعية، فالعنكبوت موجود بكثرة في ذلك المجمع الصحراوي وهذا يعني أن ضرب المثل به من الأمور الشائعة لأن دلالته لا تخفى على أي ذهن من الأذهان، بقي هناك أمر ، هو هل أن المثل القرآني دلالته الاجتماعية توسعت أم بقي في بيئته؟ هنا يمكن أن يقال أن المثل من المورثات الشعبية فلا شك أن دلالته باقية إلا أن الفارق هو (أن لاستقرار اللغة وثبات صيغتها، قيمة عظمى ونفعا محمودا، وذلك في أكثر من وجه فبعض الصيغ الموروثة والتراكيب المتداولة تؤدي إلى المراد بدقة لأنها اكتسبت دلالة خاصة تعارف عليها الناس وأصبح من العسير أن تقوم مقامها أو تؤدي مؤداها عبارات أخرى قد يبتدعها أهل اللغة يحلونها محل تلك العبارات)[4].

كما أن المجتمع المكي تميز بغلظة أسياده من المشركين الذين كانوا يتمسكون بكبريائهم ولهذا ضرب الله الأمثال لهم بأضعف مخلوقاته كالذباب والبعوض لكسر ذلك الكبرياء وهذه الحشرات بلا شك قريبة من بيئتهم قال تعالى ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ **إِنَّ** الَّذِينَ تَدْعُونَ **مِن** دُونِ **اللَّهِ** لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ **وَإِن** يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ))[5].

---

1 – العنكبوت / 41.

2 – الطباطبائي ، السيد محمد حسين / الميزان في تفسير القرآن ج16 ص130.

3 – الصغير ، محمد علي / نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة (بيروت : دار المؤرخ العربي) ص48.

4 – العزاوي ، نعمة رحيم : النقد اللغوي عند العرب بغداد : دار الشؤون الثقافية 1984) ص321.

5 – الحج / 73.

والمثل وإن كانت حقيقته مستوحاة من البيئة ولكنه مثل إعجازي (فأي مثل أقرع من تشبيه آلهتهم بهذه الحشرة الحقيرة، وقد مضى على الناس منذ ضرب لهم كتاب الإسلام هذا المثل أربعة عشر قرنا، وما يزال المثل يتحدى كل جبروت الغزاة وعبقرية العلماء، وما يزال على الذين غرهم الغرور بما حقق إنسان العصر الحديث من معجزات العلم أن ينسخوا ذلك)[1].

فدلالة المثل في السياق دلالة إستيحائية تقودك بالتبادر إلى أن المقصود هم مشركو قريش وعتاتهم، أما لفظ الذباب من خلال السياق فيدل بلا شك على الضعف من الجانبين، عدم قدرتهم على التحدي وعتاتهم على ذلك أيضا فالمثل قريب من البيئة بل لا يتطلب بعدا تأمليا لفهمه.

أما الأمثال المدنية فتختلف عن المكية لاختلاف البيئة، فاختلاف أفكار الناس واختلاف عقائدهم فضلا عن اختلاف بيئتهم شاركت في اختلاف ضرب المثل فمن ذلك قوله تعالى ((مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۚ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ))[2] ومن خلال المثل يلاحظ ان المجتمع المدني مجتمع فيه منافقون ومؤمنون برسالة الرسول ثم إن ضرب المثل في هذا الظرف البيئي له دلالات تأملية، فالبيئة المدنية فيها مطر أكثر من البيئة المكية، وهذا المطر يصحبه برق ورعد وما إلى ذلك، وهذا يعني ان هذا التمثيل له انعكاس على أفكار الناس في إيصال المفهوم الدلالي من خلال السياق (والتمثيل إنما يصار إليه بكشف المعاني وإدناء المتوهم من المشاهد، فإن كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وإن كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل إلا بأمر استدعته حال الممثل له. ألا ترى أن الحق لما كان واضحا جليا تمثل بالضياء والنور وأن الباطل لما كان لضده تمثل بالظلمة)[3].

---

1 – السبحاني ، جعفر / الأمثال في القرآن الكريم (قم : مؤسسة الامام الصادق، 1420 هـ) ص 39.

2 – البقرة / 17 – 19.

3 – الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محم د بن عبد الله : البرهان في علوم القرآن ج ،1تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي ,آخرون (بيروت ، دار المعرفة 1990) ص488.

فيبدو مما تقدم أن للمثل مداليله الاجتماعية وقربه من البيئة وكلاهما يشارك في إيضاح المثل، وهما عاملان مهمان في الفهم الدلالي ، والسياق يفصح عن ذلك فلو تأملنا قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ))[1].

فمن الملاحظ أن البيئة شاركت في الفهم الدلالي للنص القرآني، فلفظ صفوان الذي يشكل دلالة مركزية كان واضحا في بيئة النص الأولى،ودخوله المثل والتمثيل به أعطى بعدا اجتماعيا (وقد جرى المثل القرآني وهو جزء من القرآن على هذا المجرى فأعطاه أهمية في تخير ألفاظه للدلالة على المعنى المراد، وسنختار بعض المفردات منه منفردة بنفسها أو مضمومة لغيرها من أجل تحقيق الفكرة بأصولها. فكلمة صفوان في قوله تعالى ((كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ)) تعطي صورة الحجر المتكلس الذي يتجمع من ذرات قابلة للإنفصال يتماسك ويتوافر بعد أن يخالطه التراب المهيل من هنا وهناك فعبارة تقاطر المطر وتدافع السيول، بدلا أن يهش ويلين ويتفتت وإذا به يعود حجره واحدا صلبا لا ينفذ ومتحجرا لا ينفذ)[2].

فالمثل القرآني هنا شاركت فيه عوامل عدة لفهم أو لتقريب المفهوم القرآني، الذي تبدو دلالته مشكلة من الفهم البيئي الاجتماعي وضرب المثل الذي يعطي بعدا اجتماعيا فضلا عن فهم الدلالة المركزية الذي يوصل إلى دلالة المثل والنص ويبدو (أن الدلالة الإجتماعية قد روعي فيها الفهم المتبادر عن البيئة الاجتماعية في تحديد معنى اللفظ، وضبط مدلوله، فهي وسيلة مهمة لكشف الغموض والابهام عن الالفاظ)[3].

وبما أن المثل تتوافر فيه هذه العوامل فتكون الغاية من ضربه (العبرة وإقامة الحجة إظهار الدالة على أمر ما، أو يراد حديث بعينه أو خبر على علاته فهو مؤدى لفهم ظاهر بدلالته وتقوية لحجة أو ظهور معنى ولذلك قيل عنه وجعلناه مثلا مضروبا واحدوثة سائرة وعبرة ظاهرة وعظة بالغة، وتقول جعلته حديثا للغابر أو أعجوبة للناظر أو مثلا للسامع وعبرة للمتوسم وعظة للمتفكر)[4].

---

1 – البقرة / 264.

2 – الصغير ، محمد علي : نظرية النقد العربي ، رؤية قرآنية معاصرة(بيروت : دار المؤرخ العربي)ص 49.

3 – المصدر نفسه.

4 – الهمداني ، عبد الرحمن بن عبس : الألفاظ الكتابية (13 بيروت : دار الهدى 1979) ص13.

وفي هذا القول يبدو اجتماع العوامل التي مر ذكرها يفصح عن دلالة المثل من خلال السياق، ويبدو أن الأمثال في القرآن لا بد أن تجتمع ظروف لفهمها، فالمفهوم الدلالي في زمن نزول النص لا يحتاج إلى تأمل كبير لفهمه دلاليا، وبمرور الزمن أخذ الفهم الدلالي يتأثر وقد تتغير نظرة الفهم من زمن إلى زمن، ولكن في الأحوال كلها السياق هو الحاكم في النص، فمنهم من يفهم المثل بدلالته الإيحائية حيث يتشكل في ذهن المستمع للنص صورة واحدة توحي له فهم المعنى فتكسبه دلالة واضحة في نظره مثال ذلك قوله تعالى ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ))[1].

فدلالة المثل القرآنية واضحة ظاهرة يُستوحى منها فهم دلالي لا شك فيه ولم يغير معناه زمان أو مكان وسياقه الدلالي ظاهر جلي.

وقد يكون للدلالة المركزية أثر في فهم المعنى كالألفاظ الواردة من خلال السياق في قوله تعالى ((مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ))[2].

فما يدور من هذه الألفاظ يعطي معنى دلاليا ظاهرا يكشفه السياق، ويشارك فيه هامشية الدلالة في الألفاظ وهناك لا بد من اشتراك عاملين مهمين هما فهم اللفظ، وقد لا تسعف الدلالة الهامشية للفظ هنا لأن لا بد من الفهم المجازي للنص أيضا، وإذا شاركت الدلالة الهامشية لألفاظ الأعمى والبصير والأصم والسميع تعطي معنى سياقيا دقيقا لا يحتاج إلى تأمل، وفهم سياق هذه الدلالة يتغير بما يحدث من متغيرات ولكن الظاهر أن فهمه في السياق اسهل وأدق، لأن الألفاظ التي ذكرت، كالأعمى والبصير – كما مر – تشكل دلالتين إحداهما مركزية وهي التي يفهما الجميع بما هي، ودلالة أخرى مؤقتة وهذه ما يفرضها السياق لأن السياق أفصح عن المعنى المجازي – كما مر ذكره – ولذلك أعطت معنى سهل الفهم عند السامع.

---

1 – إبراهيم / 24 – 25.

2 – هود / 24.

الباب الرابع

الفصل الأول

دلالة التكرير في النص القرآني

دلالة التكرير في القرآن الكريم

التكرير من الأساليب الرائعة في القرآن الكريم، ولم يكن التكرير إلا لفائدة قد يراد بها زيادة في المعنى، وجمالية في النبر، والنص القرآني لم يكن فيه التكرير مملا، أو مدعاة للزيادة، بل تتجلى معانيه عندما تتفق فيه عوامل مشتركة كالنبر، والتأكيد، والمقام الذي أريد به استشعار دلالة النص وخواتيم الجمل التي توحي باستنطاق النص في السياق القرآني، فعلى سبيل المثال قوله تعالى ((فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا *))[1]. تشعر بدلالة ظاهرة يصل من خلالها المستمع إلى النص الذي يوحي إليه سياقه بالمعنى المراد، الذي يشعر السامع بالاطمئنان حيث تشترك فيه عوامل منها تكرير الجمل بألفاظها كاملة، فضلا عن النبر الذي يكمن في إن، وتكرير الحروف على نسق جمالي يؤدي ارتياحا للنفس، إذ يظهر من خلالها حراك المخارج الجميلة للحروف، والملاحظ إن حرف الهمزة والعين من حروف الحلق التي تشعر بقوة جهرها، والتكرير في النون الذي يعطي غنة في الصوت، والتكرير في العين بين حرفين والسين بين حرفين، والكلمة بين كلمتين، والجملة بين جملتين، والختم بألف الإطلاق إذ تكرر لمرتين وكل هذا يوحي إلى بناء جمالي يشعر بفهم دلالي يشكل عند المتأمل ارتياحا وكيف لا يكون ذلك والقائل الله جل وعلا.

التكرير في اللغة (كر عليه كرا وكرورا وتكرارا عطف عنه رجع فهو كرار ومكر، وكرره تكريرا أو تكرارا اعاده مرة بعد أخرى)[2].

(الكر الرجوع، يقال كره وكر بنفسه والكر مصدر كر عليه يكر كرا وكرورا وتكرارا، عطف وكر عنه، رجع وكر الشيء، وكركره، اعاده مرة بعد أخرى)[3].

التكرير في الاصطلاح: (عبارة عن تكرير كلمة فاكثر باللفظ والمعنى لنكتة)[4].

والتكرار بالتعبير الأدبي (هو تناوب الألفاظ في اعادتها في سياق التعبير بحيث تشكل نغما موسيقيا)[5].

---

1 – الشرح / 5-6 .

2 – الفيروز آبادي ، مجد الدين محمود بن يعقوب : القاموس المحيط ، (د. ت) (د. ط) ص 45 .

3 – ابن منظور / باب الراء فصل الكاف.

4 – ابن معصوم المدني ، علي صدر الدين : أنوار الربيع في أنواع البديع ، تحقيق شاكر هادي (النجف : مطبعة النعمان)ص345.

5 – هلال ، ماهر مهدي : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب (بغداد : وزارة الثقافة العراقي1980)ص239.

وبلا شك أن للتكرير في النصوص القرآنية اثرا واضحا ومردودا نفسيا، مما يشكل مفهوما دلاليا، وفي السياق يظهر (ان القيم الصوتية لجرس الحروف أو الكلمات عند التكرار لا تفارق القيمة الفكرية الشعورية المعبر عنها ومثير هذا التطريب لتكرير الحرف أو الكلمة – غالبا هو واجب، امتلاك الكلام بايقاعه في القلب، وهذا المثير قد يتحقق له المرتجى بطريق مباشر هو طريق الصنعة، أو غير مباشر في أسمى التجارب الفنية و الأدبية عند كمال النضج في الجانب المحجوب خلف بؤرة الشعور بالرأس المبدع، وقد يكون مرجع هذا النضج محاولات من الصنعة في المبدأ، ما زالت تكرر حتى انطبعت على لوح الخيال منها المتجانسات فصارت كأنها طبع جديد)[1].

فالملاحظ أن تكرير الكلام له تأثير في نفس السامع تتجلى فيه الصورة والايقاع وحركة الفكر والشعور فيوحي بمعنى دلالي قد يخرج المعنى السياقي للنص من المألوف ولذلك كان الخطاب القرآني يختلف من جماعة إلى جماعة، فمنه ما يستوجب تطويلا وتكريرا ومنه ما يكون مقتضبا وكلا الأمرين له حكمته ومن هذا (رأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الاشارة والوحي والحذف واذا خاطب بني اسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام)[2].

وزيادة الكلام قد يكون فيها تكريرا وهذا التكرير له فوائده وإثارته، إذ (إن التكرير أبلغ من التأكيد لأنه وقع في تكرار التأسيس أي يؤسس معنى جديدا يغاير الأول من جهة، وهو أبلغ من التأكيد فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز فلهذا قال الزمخشري في قوله تعالى ((كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ*))[3] قال إن الثاني تأسيس لا تأكيد)[4].

ومما تقدم يرى أن للتكرير أثرا واضحا في تشكيل ظاهرة عند المستمع أو القاريء للنص، فلا بد من التساؤل أو الاستفهام عن التكرير الحاصل في النص، فالأثر النفسي ظاهر – بلا شك – والنبر في القول له دلالة أخرى إيحائية في السياق، والتطويل في الكلام له بعد معنوي دلالي آخر ولهذا يلاحظ أن التكرير في القرآن الكريم ليس قليلا وان مواضع التكرير تشكل أبعادا دلالية ، فما يتعلق بآيات التحذير يعطي ظاهرة دلالية تجعل السامع

---

1 – علي السيد ، عز الدين : التكرير بين المثير والتأثير ط 2 (بيروت: عالم الكتب 1986) ص84.

2 – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : كتاب الحيوان ج 1، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، (مصر: مصطفى البابي الحلبي 1965)ص94.

3 – التكاثر / 3 – 4.

4 – الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله :البرهان في علوم القرآن ج3 (بيروت : دار المعرفة بيروت 1985) ص11.

يتساءل ، وفي مواضع الترغيب تشكل معنى دلاليا يوقظ مشاعر التسلية عند المتلقي وهذه الأبعاد الجمالية – بلا شك – توحي إلى السامع معنى مغايرا عندما تكرر في السياق، على العكس من التكرير اللفظي فقد لا يوحي إلا بالتأكيد وهذا ما أكده علماء البلاغة – كما مر – و(هذا الأسلوب المثير في ترديد تلك اللازمة في التعبير به إيقاظ المشاعر، ولفت للعقول، وبهذا الخروج عن المألوف في الخطاب، وذلك لما يقتضيه الموقف في يقظة ووعي وحذر يجعل الانسان يتلقى هذه المعاني باستعداد نفسي وعقلي)[1].

ومما يلفت النظر أن التكرير كثير في القصص القرآني، فقد نرى قصة موسى (ع) كررت في سور مختلفة من القرآن وبمضمون واحد وتعليل ذلك (ان الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن، وعجز القوم عن الإتيان بمثله أنه لصحة نبوة محمد (ص) ثم بين الأمر في عجزهم، بأن كرر ذكر القصة في مواضع، إعلاما أنهم عاجزون عن الاتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبر فهذا أولى ما قيل في هذا الباب)[2]. فالتكرير هنا أريد به رغم وجوده في سور مختلفة فهو أمر إعجازي وتحد قائم لا يمكن لبلغاء قريش أن يأتون بمثله (وليس في القرآن تكرير محض بل لا بد من فوائد في كل خطاب)[3] فوجود التكرير في نصوص مختلفة يغني استعماله في سياقات مختلفة وفي كل سياق يعطي فهما آخر فضلا عن مفهوم القصة، فالتكرير في القصص القرآني يعني أن القصة أقرب دلالة لإيصال المعنى وتقويته دلاليا عند القاريء والسامع وهنا أشار ابن تيمية بأن ليس في القرآن تكرير محض، ويبدو أن للتكرار وقعا نفسيا عند العرب واعتبارا أخلاقيا فضلا عن الجمال اللغوي والنبر، وعلو مقام الكلام والسياقات القرآنية خير شاهد ودليل ففائدته (أن الناس لو استغنوا عن التكرير وكفوا مؤونة البحث والتنقير لقل اعتبارهم، ومن قل اعتباره قل علمه، ومن قل علمه قل فضله، ومن قل فضله كثر نقصه، ومن قل علمه وفضله ونفصه لم يحمد على خير أتاه، ولم يذم على شر جناه ولم يجد طعم العز، ولا سرور الظفر ولا روح الرجاء ولا برد اليقين ولا راحة الأمن)[4].

---

1 – حسونه ، السيد عبد السميع : النظم القرآني في تفسير القرطبي (دراسته اسلوبية) (دبي : مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية العدد 21 سنة 2001) ص57.

2 – ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب وكلامها ، تحقيق أحمد حسن بسج سنة 1997 دار الكتب العلمية (بيروت : دار الكتب العلمية 1997) ص158.

3 – ابن تيمية ، أبو العباس أحمد تقي الدين بن عبد الحليم : مجموع الفتاوى ج14 (الرياض : مجمع الملك فهد 2004) ص408.

4 – الجاحظ ، أبو عثمان عمرو : رسائل الجاحظ ج 3 تحقيق عبد السلام هارون (القاهرة مكتبة الخانجي مصر سنة 1964)ص181.

ومن خلال كلام الجاحظ يبدو أن التكرير فن لا يستغني عنه العرب وله فوائد كثيرة، ودلالات يفصح عنها السياق ويمكن التماس ذلك في نصوص كثيرة (وسنن العرب التكرير والاعادة وإرادة الابلاغ بحسب العناية بالأمر قال الحارث:

قربا مربط النعامة مني لفحت حرب وائل عن حيالِ

فكرر قوله مربط النعامة مني في رؤوس ابيات كثيرة عناية بالأمر وإرادة الإبلاغ في التنبيه والتحذير)[1].

وهذا يعني أن دلالة التكرير في السياق أمر كبير عند العرب في التنبيه والتحذير، وقد ورد التكرار في القرآن الكريم فضلا عن جماله في المعنى إرادته التعبير والتنبيه والتحذير كما مر دليله في كلام العرب، فقد كرر الحارث وهو شخصية معروفة في عصر ما قبل الاسلام عندما قتل المهلهل ولده بجيرا مربط النعامة أكثر من خمسين مرة والنعامة اسم لفرسه. إن التأكيد لإعادة مربط النعامة لمرات كثيرة يعني أن فيه دلالات مختلفة، وهذه الدلالات في التكرير لا تعني أمرا واحدا، فالسياق يكشف عن أمور كثيرة، منها التحذير لعدوه، والترديد بهذا الأمر يعبر عن الموقف النفسي عند الحارث، كما ان التكرير يدل في مثل هذه الحالات على عدم الملل بل كان مستساغا عندهم، وقد تكرر هذا الأسلوب في القرآن الكريم بأوجه مختلفة منها ما هو تحذيري وهو الغالب في النص القرآني، ويمكن رؤيته في قوله تعالى ((وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ * وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ * فَبِأَيِّ آَلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ *))[2].

---

1 – ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت : الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب وكلامها،ص158.

2 – الرحمن / 12 – 23.

فبلا شك ان التكرير هنا ليس مملا بل ملفتا للنظر معبرا عن الاستغراب من النكران للآلاء، معززا أهمية النص، دالا دلالات مختلفة، حيث ما يتعلق باعجاز الخلق، وقد ورد هذا النوع من التكرير في القرآن الكريم في مواضع عدة ومن ذلك تكرير ويل يومئذ للمكذبين في قوله تعالى ((وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ * ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ * كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ * أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ * فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ *))[1] فويل (هو حلول الشر ويومئذ: يوم القيامة والهلاك لمن كذب أو آمن ولم يعمل)[2].

ومما تقدم في النصين الكريمين أن التكرار في سياق النص القرآني له دلالته الظاهرة، ومعانيه المتنوعة، منها ما يدل على عظمة الخلق، ومنها ما يدل على هول النكران، ثم إن التكرير في النصين لم يكن مملا بل له وقع ممتع من ناحيتين هما النبر والصوت وخواتيم الآيات فضلا عن تعدد المعاني والانعكاس النفسي (ولو كان التكرار يورث الكراهة لكان المألوف أكره شيء على النفس، وامتنع، اذ ذاك نزعها من مألوف، والوجدان يكذب ذلك)[3]. ومما تقدم أيضا أن التكرير فائدته جلية ودلالته قوية ومرده (لاشباع المعنى والاتساع في الالفاظ)[4] واشباع المعنى – بلا شك – يقود إلى فهم دلالي من خلال السياق، وهذا الفهم الدلالي قد تكون دلالته ايحائية، فقوله تعالى ((فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ))[5] فبلا شك يوحي هذا إلى المتلقي ان المعنى في كل الاحوال هي الفاكهة، ولكن تشكل في ذهنه ظاهرة دلالية قد تدرك وتفسر بألوان مختلفة (والنخل والرمان من الفاكهة، فافردهما عن الجملة وادخلهما فيها لفضلهما وحسن موقعهما).[6]

---

1 - المرسلات / 14-24.

2 - مغنية ، محمد جواد / التفسير المبين ج 2(لندن : مؤسسة الإمام علي ع، 2012) ص134.

3 - السكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي : مفتاح العلوم ج1 تحقيق عبد الحلم الهنداوي (بيروت: دار الكتب العلمية ،2000) ص155.

4 - ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : تأويل مشكل القرآن ، شرح أحمد صفر ط3 (القاهرة : دار التراث ، 1973) ص 240.

5 - الرحمن / 68.

6 - المصدر نفسه.

والموضوع نفسه في قوله تعالى ((حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ))[1]. فالصلاة الوسطى (منها فافردها بالذكر ترغيبا فيها وتشديدا لأمرها كما تقول إيتيني كل يوم ويوم الجمعة خاصة)[2] وبلا شك هنا يوصل السياق إلى معنى دلالي أو ظاهرة دلالية لا يخلو منها أي ذهن بأنها صلاة الظهر ويتبادر الفضل إلى ذهن القاريء، فإن تبادر المعنى الثاني وهو الفضل ذاك يعني أن السياق مهد لفهم المعنى الآخر وهو تفضيل الصلاة والتكرير من دواعي الفهم الدلالي.

وقد يعطي التكرار فهما آنيا من خلال السياق وفي قوله تعالى ((قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ *لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ *لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ *))[3].

فالقرآن (نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيل والافهام كما أن من مذاهبهم الاختصار ارادة التحقيق والايجاز لان افتتان المتكلم والخطيب في الصوت وخروجه عن شيء إلى شيء أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد)[4].

وقد يكون التكرير يراد به الجانب التربوي فضلا عن التلطف وهذا ما يكثر في النصائح والعظات لاستدراج المخاطب وهذا مايشكل ظاهرة دلالية على أن المعنى يكتمل في ذهن السامع، ويقود إلى الانصات والالتزام التربوي وقد ورد ذلك كثيرا في القرآن الكريم، وقد صرحت الآيات الآتية بذلك ((يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ))[5].

---

1 - ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : تأويل مشكل القرآن ص 240.

2 - البقرة / 238.

3 - الكافرون / 1- 6 .

4 - ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم : تأويل مشكل القرآن ص235.

5 - لقمان / 13.

وفي قوله تعالى ((يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ))[1].

وفي قوله تعال ((إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا))[2].

وقوله تعالى ((يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا))[3].

وقوله تعالى ((يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا))[4].

مما تقدم في الآيات المباركات يبدو أن الجانب التربوي والتلطيفي أخذ المجال الأوسع في النصوص فشكل انعكاسا نفسيا على الموعوظ، والتكرير كشف ظاهرة أوحت إلى الذهن فبان الجانب التربوي فيها واضحا عند المتلقي، وبدا الكلام فيه نوع من التقدير تاركا الاثر الاخلاقي في نفس الموعوظ.

---

1 – لقمان / 16.
2 – مريم / 42.
3 – مريم / 43.
4 – مريم / 44.

الباب الرابع

الفصل الثاني

اشتراك الدلالة

اشتراك الدلالة

كثيرا ما تشترك الدلالة، وقد يكون هذا الاشتراك في اللفظ او التعبير، والاشتراك عادة يتمحور حول اللفظ ولا يكشفه إلا السياق وقد يكون السياق كاشفا عن المعنى ولكن بدلالتين مختلفتين فلو نتأمل قوله تعالى ((أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ))[1].

((فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ))[2]، فلفظ (يطيقونه) في داخل السياق يشترك في الدلالة فمرة يكون بمعنى النفي وهو عدم الاطاقة وهذا ما يشكل ظاهرة دلالية ومفهوما عند القراءة الاولية، وقد يكون بمعنى القدرة بطاقة شديدة، وهذا المعنى وارد، وكان المعنيان مثار نزاعات عند المفسرين وكل يعلل على أساس أدلته وعليه كما (فسره بن عباس وغيره من السلف على قراءة من قرأ: وعلى الذين يطيقونه أي يتجشمونه، كما قال ابن مسعود وغيره)[3].

وفي قوله ((فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)) اي (فمن كان شاهدا أي حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر)[4].

هذا في دلالته المرادة والتي تفهم من خلال السياق، ولكن الدلالة العامة الأولية قد يكون الشاهد بمعنى الرائي، ولذلك يشيع بين عامة الناس من شهد منكم الشهر أي من شهد هلال الشهر (وقد قيل: التقدير هلال الشهر، وهذا ضعيف لأنك لا تقول شهدت الهلال: شاهدت، ولأنه كان يلزم الصوم كل من شهد الهلال وليس كذلك)[5].

---

1 – البقرة / 184.
2 – البقرة / 185.
3 – ابن كثير ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي : تفسير القرآن العظيم ج1 ص500.
4 – الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ج1 ص636.
5 – ابن سيدة ، علي بن اسماعيل : اعراب القرآن ، الكتاب ألكتروني (المكتبة الشاملة http://shamela.ws/ سنة 1991).

(والمشهور والمقصود هنا حضور المسلم بداية الشهر، أو رؤية هلال رمضان، أو التأكد من دخول الشهر بأية وسيلة وذلك لأن الشهود والشهادة هي الحضور مع المشاهدة إما بالبصر، وإما بالبصيرة وإما بهما معا)[1].

لا يخفى على المتأمل والدارس للنصوص التي تتضمن لفظا مشتركا، ان اشتراك اللفظ يؤدي الى اشتراك الدلالة، وقبل الخوض في الدلالة المشتركة لا بد من معرفة المشترك، وادق ما عرف ذلك المنطقيون، فالمشترك عندهم (اللفظ الذي تعدد معناه وقد وضع للجميع كلا على حدة ولكن دون أن يسبق وضعه لبعضها على وضعه لبعضها الاخر)[2].

والمشترك لم يكن حديث الدراسة، بل لم يغفل علماء العربية عن دراسة المشترك فقد كتبت دراسات كثيرة حول المشترك اللفظي وبخاصة في الدراسات القرآنية منها كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه من القرآن المجيد للمبرد.

(وأول كتاب يتصل بالدراسات القرآنية في علم الدلالة له علاقة بظاهرة المشترك اللفظي هو كتاب الاشباه والنظائر في القرآن الكريم لمقاتل بن سليمان المتوفى سنة 159هـ)[3].

وقد قسم المحدثون المشترك إلى قسمين كبيرين:

1 – (الاشتراك الهومونيمي ويسمى الاشتراك الجناسي ويقصد به الاتفاق في اللفظ مع اختلاف في الحقل الدلالي، أي وجود أكثر من كلمتين أو أكثر متشابهتين في الصورة اللفظية ولكنهما مختلفتان في المعنى ولا وجود لعلاقة دلالية واضحة بين معانيهما. مثل الجد أحد الوالدين والجد هو الحق والجد وجه الأرض والجد بمعنى القطع ولا علاقة دلالية بينها)[4].

---

1 – النجار ، زغلول / بحث (القاهرة : جريدة الاهرام – لشهر آب 2011).

2 – المظفر ، محمد رضا : المنطق ج1(النجف الاشرف ، مطبعة النعمان ، 1385) ص3.

3 – الجنابي ، أحمد نصيف : ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة (بغداد : كلية الآداب الجامعة المستنصرية / مجلة المجمع العلمي العراقي) المجلد 35 ج 4.

4 – الحكيم ، محمد تقي : الاشتراك والترادف (بغداد: مجلة المجمع العراقي / المجلد 12 لسنة 1965) ص74.

وفي مثل هذه الحال لا بد من وجود كاشف للمعنى وهو السياق، فاللفظ لوحده لا أثر معنوي له إلا بالدلالة المركزية، التي يكشف عنها السياق أيضا ويعزى أسباب الاشتراك الهومونيمي إلى ما يأتي:

(التغيير الصوتي كالتغيير في حروف أحدهما أو كليهما فيشكلان بذلك مشتركا لفظيا)[1].

وقد يكون التغيير بحركة الحرف وهذا ما يشكل تغييرا صوتيا، وظاهرة أخرى تقود إلى دلالة ثانية للفظ.

وقد يكون أسباب الاشتراك الهومونيمي (الافتراض اللغوي كافتراض كلمة أجنبية لمعنى معين فيتصادف أنها موجودة في اللغة الاخرى مثل مرج تعني بالفارسية مرعى ومرج في العربية الخلط فاصبح المعنى يعني الخلط والمرعى ولا علاقة دلالية بينهما)[2].

2 - والقسم الثاني من المشترك هو (الاشتراك البوليزيمي ويسمى أيضا تعدد المعنى لان اللفظ يكون من بولي بمعنى متعدد وزيمي بمعنى معنى وهو دلالة على عدد من المعاني المختلفة وتربط هذه المعاني المختلفة علاقة دلالية بمعنى مركزي فكلمة عين لها عدة معان تربطها بالمعنى المركزي الذي هو الابصار)[3].

ومن هنا يمكن القول أن للدلالة المحورية (وهي الدلالة الاساسية التي تمثل جوهر المادة اللغوية في كل ما استعمل من اشتقاقاتها الصرفية)[4].

ومؤدى ذلك أن الدلالة المحورية (لجذر لغوي هي الدلالة التي تدور حولها جميع استعمالاته)[5].

ويبدو مما تقدم ان اللفظ وان كانت له معاني مختلفة ودلالات متعددة إلا ان هذا التعدد في الدلالة لا بد أن يكون السياق كاشفا عنه ،وفي القرآن الكريم كثير من الالفاظ تعطي معنى مفهوميا أو ادراكيا، وهذا هو المحور الاساس في فهم اللفظ ولكن قد لا يكفي ذلك إلا بمحاكاة السياق لأنه الكاشف الحقيقي عن المعنى ففي الاشتراك الهومونيمي صعوبة في الفهم ، والسياق

---

1 - الحكيم ، محمد تقي : الاشتراك والترادف ص 74.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه.

4 - الداية ، فايز :علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ط2 (بيروت : دار الفكر المعاصر – بيروت 1996) ص20-25.

5 - عمر ، أحمد مختار : علم الدلالة ص 37.

هو الأساس في كشف المعنى المراد، وفي الاشتراك التعددي البوليزيمي يكون ذلك أقل، فقد يكون للفظ دلالة إدراكية محورية توصل إلى المعنى الذي وإن فهم يكون ناقصا ومن هذه الالفاظ (الصلاة والحج والزكاة والصيام) والنقل هو الذي فرض اشتراك معناها فالصلاة بمعنى الدعاء، والحج بمعنى الزيارة، والزكاة بمعنى الزيادة، والصيام بمنعى الامتناع عن الأكل والشرب، وان اختلاف الدلالة هنا لا بد له من كاشف وهو السياق، أما اللفظ بمفرده فالدلالة الادراكية حددته،ولا بد لكل لفظ في السياق أن يعطي (معنى حضوريا وان الكلمات ليست أحجارا مرصوصة، ولا كائنات جامدة، انها احداث حية ما دامت تصدر من حي عاقل ويخاطب بها العقلاء الذين يملكون مشاعر واحاسيس دقيقة، وهذا يعني ان دلالاتها تتأثر بما يحيط بها سواء كان ذلك من جانب المتكلم أم من جانب المخاطب)[1].

وقد يتعدى ذلك من اللفظ إلى (الجملة الواحدة وقد يكون لها أكثر من مدلول واحد حين تصدر في حالات مختلفة عن شخص واحد، فانت تسأل انسانا مريضا – كان مريضا – فتزوره – بعد شفائه – فتقول له كيف حالك؟ فيقول الحمد لله، وهذا يعني أنه قد شفي من مرضه، وتسأل هذا الانسان وهو مظلوم محزون لسبب من الاسباب – كيف حالك؟ - فيجيب الحمد لله: وهذه العبارة تعني الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه)[2].

وعند التأمل في القرآن يبدو هنالك من خلال سياقات النصوص القرآنية الكثير من المشتركات وهذه المشتركات لها آثار في التطور اللغوي والمعنى الدلالي، فاللغة أخذت تتجه إلى التكاملية بعد أن شهدت تطورا واسعا في معانيها قبل الاسلام ولا يخفى أن اللغة ما هي إلا (مظهر من مظاهر الحياة الانسانية، فالدلالات تتطور فيها أو تتولد بحسب ضوابط وقوانين وأنظمة ولكل لغة قواعد وأنظمة يجب أن تراعى، وجاءت في القرآن العظيم باستعمالات جديدة ودلالات جديدة)[3].

---

1 - الجنابي ، أحمد نصيف ، ص401.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه ص376.

وقوله تعالى ((إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ))[1] والمعنى يفصل بينهم بحكمه وقوله تعالى ((وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ))[2] وقوله تعالى ((فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ))[3] وقوله تعالى ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ))[4] وهنا بمعنى إرادة تطبيعية، أو قوله تعالى ((وَلَٰكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا))[5] وقوله تعالى ((قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ))[6] بمعنى انتهى نهاية لا رجعة فيها أو قوله تعالى((فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ))[7] وهنا يعني انجز العمل . ومن خلال ما تكرر من لفظ قضي في الآيات الكريمة يبدو أن اللفظ يتجدد معناه في كل سياق من السياقات المتقدمة وهذا يعني ان الاشتراك المتقدم – بلا شك – كان له الأثر الكبير في إثراء الدلالة.

وللأصوليين كلام في اشتراك الدلالة (فهناك في الالفاظ دلالات خاصة لا تشكل عناصر مشتركة في عمليات الاستنباط تتولاها علوم اللغة، ولا تدخل في علم الاصول، وهناك دلالات تصلح للدخول في استنباط مسائل مختلفة وهذه يبحث عنها علم الاصول بوصفها عناصر مشتركة في عمليات الاستنباط، كدلالة صيغة افعل على الوجوب ودلالة اسم الجنس الخالي من القيد على إرادة المطلق ونحو ذلك)[8].

ومن الامثلة الرائعة على الدلالة المشتركة في القرآن الكريم كلمة لسان، وهذه المفردة يمكن النظر إليها كظاهرة دلالية من عدة ابعاد أولها الجانب المعجمي والدلالة المركزية أو المحورية أو الادراكية لكلمة اللسان التي يتفق عليها كل سامع لهذه الكلمة وقد ورد.

فكلمة اللسان تعني آلة النطق في الدلالة المركزية ولكن لها دلالات أخرى يدركها عامة الناس بحسب الاستعمال ، بالتبادر أو بالادراك ، أما دلالتها المركزية فظاهرة بلا شك.

---

1 – يونس / 12.
2 – الزمر / 7.
3 – يونس / 47.
4 – الاحزاب / 36.
5 – الانفال / 47.
6 – يوسف / 41.
7 – الجمعة / 10.
8 – الصدر ، محمد باقر: دروس في علم الاصول ج 2(بيروت ، دار الكتاب اللبناني 1978) ص61.

وللسياق رأي آخر فقد يرد اللسان بمعنى عضو النطق كقوله تعالى ((أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ *وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ))[1].

وظاهر الكلام يفسره السياق لوجود أعضاء أخرى وقد أرشد السياق إلى هذا المعنى ، وقد تكون بمعنى اللغة كقوله تعالى ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ))[2].

والدلالة السياقية هنا تشير إلى ان اللسان المقصود به اللغة وقد يكون اللسان بمعنى الثناء الحسن كقوله تعالى ((وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ))[3].

وقد يكون بمعنى الدعاء كقوله تعالى ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ))[4].

كل ما تقدم يكشفه السياق أو تكشفه الدلالة الادراكية للمفردة في داخل الآية أو النص، وقد يكوّن اللسان مفهوما دلاليا أبعد من ذلك إذا نظر إليه من خلال سياق الآيات المباركة ، كقوله تعالى ((وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ))[5] وقوله تعالى ((وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ))[6] أو قوله تعالى ((يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ))[7] فيبدو مما تقدم ان للسان مفاهيم عدة يكشفها السياق كما ان للظاهرة الدلالية فيه ابعادا منها الفهم الادراكي الذي يتفق عليه الكثيرون، والمعجمي كذلك، وهنالك ابعاد دلالية أخرى تتفق أن (اللسان هو اللغة نظاما نفسيا وصوتيا ونحويا باجمال)[8] ومن خلال ما تقدم يبدو أن أمورا ثلاثة تدخل في تحديد دلالة اللفظ لفهم المشترك اللفظي.

---

1 - البلد / 8-9.
2 - ابراهيم / 4.
3 - الشعراء / 13.
4 - المائدة / 78.
5 - النحل / 103.
6 - الروم / 22.
7 - النور / 24.
8 - محمد حسين ، عبد الكريم: (دمشق : جريدة تشرين عدد 14 لسنة 2013).

وهذه القضايا هي

1 – (السياق

2 – المعنى الحضوري للتركيب اللغوي

3 – التركيز الدلالي

أما السياق فانه يحدد دلالة الكلمة تحديدا دقيقا مهما تعددت معانيها، ويفترض المشترك اللفظي أن تكون للكلمة معان عديدة وهو أمر يعد من البديهيات عند دارس علم الدلالة)[1]

والمعنى الحضوري قد مر ذكره، أما التركيز الدلالي فهو (تكييف أكثر من معنى في اللفظة الواحدة، في جملة واحدة في سياق واحد لغاية وهدف مقصودين يجب أن تكون كل تلك المعاني مطلوبة في التركيب اللغوي مقصودة من ايرادها)[2].

1 - الجنابي ، أحمد نصيف / المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة ص403.

2 - المصدر نفسه.

الباب الرابع

الفصل الثالث

دلالة العلوم الحديثة في القرآن

دلالة العلم الحديث في القرآن الكريم

ومن الدلالات العلمية التي يمكن أن توضع في باب السياق الثقافي، لما يقتضيه المحيط الثقافي، التي درست في المفردة وهذا يعني أن المجال العلمي توسع حتى أصبح للكلمة في منظور المتعلم الذي يرى أن للعلم صلة بالقرآن الكريم، أو قرب القرآن من العلم، والدعوة اليه وهذا ما شكل للمفردة دلالتين، دلالة مركزية ودلالة أخرى تفهم من السياق، وبلا شك إن الواقع الثقافي له أثر واضح في فهم المفردة من خلال السياق، ولذلك اتخذت الدراسات الحديثة التي تتعلق بالجانب العلمي منهجا عزز من هذه النظريات والفضل يعود لدراسة السياق وبنيته لأن واقع المفردة لوحده لا يشكل الا دلالة مركزية او لغوية لا يفصح عنها الا السياق.

فالوصف القرآني للكون من حولنا، اصبح يشكل في ذهن القاريء للقرآن ظاهرة دلالية تقود الى التأمل في الظواهر الكونية والعلمية، وبالطبع هذا ما ولّده الواقع الثقافي، والدراسات العلمية في القرآن الكريم وربطها بالموضوعات العلمية او الكونية، فاصبحت هذه الظاهرة مألوفة عند كثير من الناس، ومردها السياق الثقافي، فالصحراوي في أيام نزول القرآن يتأمل النص بطريقة أخرى ساذجة لا تشكل لديه ظاهرة مثلما يشكلها الواقع الثقافي المعاصر، ولا تعدو عنده الا بما يتعلق بالمفهوم الجمالي للنص المبارك، فضلا عن السطحية الواقعية لما يشكله السياق، وان كثيرا من الايات في تلك الفترة كانت محل تأمل وحيرة في المفهوم، ولذلك يعزى الكثير منها الى الاعجاز وهذا امر واقع لكن عندما بدأ الانسان يتطور علميا اصبح يفكر بواقعه الثقافي ، ويترجم النص بمفاهيم جديدة يكاد يكون بعضها مقنعا قناعة تامة، وبعضها محل تصور وتأمل.

فاللفظ في سياقه في واقعنا الآن يوحي بالتبادر الى العلم، فعلى سبيل المثال المفردات في داخل سياقها، كالارض والسماء والسحاب والاجنة وغيرها اصبحت موضع دراسة، فولّدت رؤى جديدة عند كل الناس فقوله تعالى مثلا ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ))[1].

---

1 – الروم /41.

فرؤية القدامى كانت رؤية سطحية لا تتعدى المفهوم الذي يقرره ظاهر النص، أما اليوم فالتفسير اختلف لاختلاف المفاهيم الثقافية ففسروه بظاهرة (المركبات الكيمياوية المصاحبة للثورة الصناعية حديثا، ولبعض المبيدات الحشرية والتي اتفقت 191 دولة عام 1987 على الحد منها في مؤتمر مونتريال، وثقب الأوزون لا يعني خرق وحدة البناء الكوني لانه ظاهرة محلية عارضة وأثر تخريبي للتوازن في البيئة ناتج عن الافساد البشري بتلويث الجو، وتدعي أن تاثير البيئة حولنا بالنشاط البشري معرفة جديدة ولكن القرآن يدل صراحة بغير سابقة في كتاب آخر ينسب للوحي أن الفساد في البيئة تصنعه اليد البشرية)[1].

فالملاحظ في ما تقدم أن النظرة الدلالية عند دارس البيئة جعلته يتأمل في مجال اختصاصه في البيئة، وهذا لا يعني أن المتخصص فقط هو من اتجه الى هذا الجانب، لان دراسة مثل هذه الموضوعات وتكريرها جعلتها في الواقع الثقافي تفهم علميا عند الناس وليس المقصود بذلك المفهوم العلمي الدقيق، بل الرغبة والحاجة الى فهم المجهول وهنا كان للسياق اثر في الكشف الدلالي.

وفي قوله تعالى ((وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ))[2] فالنظرة للآيات الكريمة في الوقت الحاضر يترجمها السياق الثقافي فتتخذ في نظر الباحث الجانب الفيزياوي بالتعامل مع النص، وهذا ما فرضه الواقع الثقافي، أما الرؤية الأولى فبلا شك تختلف ولكن لا تخالف مضمون النص أو واقعه قال ابن كثير (بأيد بقوة. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة والثوري وغيرهم انا لموسعون أي قد وسعنا أرجاءها ورفعناها بغير عمد استقلت كما هي، قال القرطبي رحمه الله انا لموسعون قال ابن عباس: لقادرون وقيل: اي وانا لذو سعة وبخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده، ان شمولية الآية لهذه الاقوال جميعا لهوَ اعجاز لهذا الكتاب العظيم الذي لا تنقضي عجائبه لكن هل تشمل هذه الآية معاني واقوال اخرى توصل اليها العلم الحديث والنظريات المعاصرة وما الذي اكتشفه علماء الفيزياء مؤخرا مما يمكن ان ينطوي تحت ظلال هذه الآية)[3].

---

1 - دحدوح ، محمد دحدوح :(عواقب ثقب الأوزون من معجزات القرآن) موسوعة الاعجاز العلمي للقرآن والسنة موقع الكتروني http://quran-m.com/ .

2 - الذاريات / 47.

3 - الحصيني ، نجم بن مسفر :(الإعجاز الفيزيائي في القرآن الكريم) منظمة المجتمع العلمي العربي ، ملتقى العلماء والاطباء والمهندسين العرب.http://www.arsco.org/

ولم تكن هذه النظرة الدلالية مقتصرة على علم من العلوم البحتة، بل تعددت النظرات الى علوم اخرى كالطب والهندسة والفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم البحتة، فمن الامثلة التي شاعت في الاوساط العلمية، فضلا عن العامة قوله تعالى ((فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ))[1].

ومن هنا يمكن التأمل في الآية المباركة من خلال المفاتيح الدلالية لقول المتأمل على ظاهرة يكشفها السياق الثقافي، فالمفردات (صدره، ضيقا، يصّعّد في السماء)، اذا اجتمعت توحي بظاهرة دلالية يفصح عنها السياق، الا ان المتأمل للآية سابقا يرى فيها اعجازا لان الصعود في السماء ضرب من الخيال وقد فسر التعبير مجازا، ولكن الواقع اليوم والتجربة أثبتا عكس ذلك التصور، وهنا وعند التأمل في المفردات الداخلة في السياق الكاشف عن المعنى يمكن تفسيرها اولا معجميا، اذ ان كلمة ضيق وكلمة يصّعّد قد جعل منهما التضعيف قوة في المعنى، فكلمة ضيق زاد في المبالغة في الضيق، وكلمة يصّعّد اعطى صيغة الشدة او القوة في الصعود، وكلا اللفظين شاركا في الافصاح عن مفهوم السياق الحقيقي و(صحة التشبيه، فالارتفاع في الجو لمسافات عالية يسبب ضيقا في التنفس وشعورا بالاختناق يزدادان كلما زاد الارتفاع (يصّعّد) حتى يصل الضيق الى درجة حرجة وصعبة جدا، اما سبب ضيق التنفس فيعود لسببين هما انخفاض نسبة الاوكسجين في الارتفاعات العالية وانخفاض الضغط الجوي)[2].

ومن الدلالات العلمية الاستنتاجية التي تتعلق بالحساب والمفهوم الطبي فقد (سبق القرآن الطب بتقريره ان أقل مدة للحمل ستة أشهر وذلك في قوله تعالى ((وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا))[3] وقوله ((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ))[4] وقوله ((وَفِصَاله فِي عَامَيْنِ))[5] فاذا حذفنا مدة الارضاع الكاملة وهي حولين أي أربعة وعشرون شهرا من ثلاثين شهرا التي هي مدة الحمل والارضاع، فانه يبقى ستة اشهر للحمل وهي اقل مدة للحمل يمكن للجنين أن يبقى حيا اذا ولد بتمامها)[6].

---

1 - الأنعام / 25.

2 - دياب ، عبد الحميد ، وقرقوز ، أحمد: مع الطب في القرآن الكريم ط 3 (دمشق : مؤسسة علوم القرآن 1413هـ) ص21.

3 - الأحقاف / 15.

4 - البقرة / 233.

5 - لقمان / 14.

6 - دياب ، عبد الحميد ، وقرقوز ، أحمد : مع الطب في القرآن الكريم ، ص25.

وهذه المسألة أول من بدأ استنباطها علي بن أبي طالب (ع) حيث (أتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها عثمان، فقال أمير المؤمنين: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إن الله تعالى يقول ((وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا)) ثم قال ((وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ)) فحولين مدة الرضاع وستة أشهر مدة الحمل فقال عثمان ردوها)[1].

ومما تقدم يبدو أن المفاتيح الدلالية، جعلت النص موضع تأمل، فمن خلال لفظين في سياقَي الآيتين المباركتين دلا على الوصول الى المفهوم العلمي للنص. والمفتاح الدلالي هنا الثلاثون وكلمة حولين وهما اشتركا في فهم المضمون العلمي.

وهذه العلاقات الدلالية هي اليوم أصبحت موضع تأمل ودراسة عند المتخصصين، بل تعدت ذلك الى عامة الناس، وذلك لما تشكل هذه المفاتيح الدلالية أو توحي بفهم آخر للنص، غير الفهم المعهود سابقا، ولذلك أخذ كثير من المتخصصين النظر الى النص نظرة باحث ومحقق ولكن لا يمكن لكل باحث ذلك الا اذا التزم بالمفاتيح الدلالية لكل نص ليصل الى المراد، وهذه العوامل المساعدة أو الكاشفة عن النص من خلال السياق، ويمكن الاصطلاح عليها بالدلالة السياقية الاستنباطية اعتمادا على السياق الثقافي، فمن أمثلة ذلك قوله تعالى ((فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا * فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا *))[2].

(فهناك حكمة طبية معجزة في هذه الايات تتعلق باختيار ثمار النخيل دون سواه من ناحية ثم توقيته مع مخاض الولادة من ناحية أخرى، تبين الابحاث المجراة على الرطب أي ثمرة النخيل الناضجة، انها تحوي على مادة مقبضة للرحم فتساعد على تسهيل الولادة كما تقلل كمية النزف الحاصل بعد الولادة، والرطب يحتوي على سكاكر بسيطة سهلة الامتصاص، هذه السكاكر مصدر الطاقة الاساسي)[3].

---

1 - الخوارزمي ، الموفق بن أحمد بن محمد المكي : المناقب ج 1، تحقيق الشيخ مالك المحمودي ط 2 (قم: مؤسسة النشر الاسلامي ، سنة 1411 هـ) ص501.

2 - مريم / 23 – 26.

3 - دياب ، عبد الحميد ، وقرقوز ، أحمد : مع الطب في القرآن الكريم ، ص 28.

وعند النظر الى الآيات المباركات، يلاحظ ان مفاتيح الدلالة هنا التي ان اجتمعت عواملها يكشفها السياق (المخاض، الرطب، كلي واشربي وقري عينا) وهذه المفاتيح هي الدلالات التي توصل الباحث الى مفهوم النص من خلال سياقه، ومن هذا قد اتخذت الدراسات جوانب عديدة، وكل بحسب تخصصه فضلا عن نظرة العامة من خلال الوعي الثقافي، وفهم النص في المنظور الثقافي المعاصر.

ومن ذلك اتجهت النظرة العلمية المعاصرة الى فهم النص وتدقيقه على وفق ما تقدم من الابحاث، وهذا ما له مصاديق وامثلة كثيرة، فالآيات الكونية تشكل رؤية معاصرة عند كل الناس لما مر بهم من تأملات في النص فضلا عن ارتفاع المستوى الثقافي، ولذلك تشكل هذا الآيات ظاهرة دلالية اجمالية، ويمكن وصفها بالايحائية، اذا تحرك الوجدان عند الناس للدفاع عن العقيدة أو وحدة الوجود او لاثبات ظاهرة الايات بانها الهية، وقد اشترك في مثل هذه الامور الفكر الانساني بجميع جوانبه من لغة وعلم نفس ومفهوم اجتماعي ليشكل ظاهرة أو مفهوما دلاليا تأمليا.

ومن الآيات المباركات التي توحي للدارس المتخصص كروية أو بيضوية الأرض مثلا في قوله تعالى ((وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا))[1].

فأغلب المصادر ترى ان معنى دحاها بسطها لتسهيل العيش فيها، ولكن نظرة المختص اليوم اختلفت فاخذ يبحث عن دلالة اللفظ وعلاقته بالسياق وعند الرجوع الى المعاجم ظهر أن دحا لها معان أخرى (ودحا المطر الحصى عن وجه الأرض دحوا نزعه، ويقال اللاعب بالجوز: أبعد المرمى وأدحه إلى رميه)[2].

فكلمة دحا أعطت هنا حركة الحصى أو الجوز، وهذان المفتاحان الدلاليان أعطيا للباحث نظرة تأملية، وأن النص بعوامله المشتركة دل من خلال سياقه على حركة.

ومن هذا النمط قوله تعالى ((لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ))[3].

---

1 – النازعات / 2.

2 – ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت : دار الفكر ، 1979) مادة دحا.

3 – يس / 40.

والآية المباركة توحي ألفاظها بانها كونية وتشكل معنى ذهنيا علميا لا بد من تأمله، وقد فسرت الظاهرة بما (ينتج عن الحركة المحورية للنجوم والكواكب قوة طرد مركزية تحفظ للنجم والكوكب موقعه على بعد ثابت بينه وبين النجم الأم ومن العوامل المؤثرة الدوران المحوري)[1].

وبلا شك ان الحركة الدورانية في الكواكب هي التي اعطت التوازن لهذا الكون (ومن بدائع الاعجاز في هذه الآية قوله تعالى ((كُلٌّ فِي فَلَكٍ)) فيه محسن بديعي فان حروفه تقرأ من آخر على الترتيب كما تقرأ من أولها مع خفة التركيب ووفرة الفائدة جريانه مجرى المثل)[2] وهنا استدعى من الباحث النظر في النص من خلال ايجاد دلالة سياقية بنظرتين، الأولى النظر الى المفاتيح الدلالية في النص التي تؤدي الى المعنى العلمي، والثانية النظر الى المحسن البديعي الذي دل أيضا من خلال قراءته من اليمين الى اليسار او من اليسار الى اليمين على الدورانية وهذا معجز اذ ان الدورانية في الكواكب محل اعجاز الهي جسدها في النص القرآني من خلال المحسن البديعي.

وهنا من خلال ما تقدم يبدو أن النص القرآني له أساليب كثيرة لا تتعلق بالمعنى التعبدي فقط، وانما توحي بالنظرة الاعجازية الالهية الكونية التي تعزز الجانب التعبدي عند الانسان، وهذا المحور الحديث في البحث فتح الآفاق الواسعة امام كل متخصص، ولكن مرد كل هذا هو دلالة اللفظ وسياقه في المعنى، وتحديد العوامل المشتركة التي أوحت لكل انسان بأن لا بد من النظر في النصوص التي توحي الى الدلالات القائمة على المفاهيم العلمية وتفسيرها ظواهر دلالية، وهذا من مهمة السياق الثقافي الذي أوحى بهذه المفاهيم ولا بد لظاهرة كل نص من خلال علاقته بالعلوم الانسانية او الطبيعية الوصول الى المراد.

1– الحاج أحمد ، يوسف : موقع موسوعة الاعجاز العلمي للقرآن ط2 ،(دمشق: مكتبة ابن حجر ، 2003) ص390.

2 – ابن عاشور ، محمد الطاهر: تفسير التحرير ج18 (تونس :الدار التونسية للنشر والتوزيع ، 1984) ص230.

الباب الخامس

الفصل الأول

العلاقات الدلالية الذهنية وطريقة الكشف عن المعنى السياقي

العلاقات
الدلالية الذهنية وطريقة الكشف عن المعنى السياقي

عند التأمل في النص القرآني تبدو للقاريء او الدارس اوجه مختلفة، لا شك أنها معجزة، فقد حار بها علماء اللغة، وحارت أذهان كل دارس للقرآن، كما أن الأبعاد الثقافية لقاريء القرآن بدأت تشكل في ذهنه رؤى بعيدة المدى، تدعو الى تفحص النص بما علمه أو سمعه غيره، والدرس القرآني استوجب العمق لأسباب منها عقدية تدعوه الى الفهم الدقيق، وهذا ما دعا إليه القرآن الكريم ((أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا))[1].

فالاسلوب بدأ بقوله أفلا وهذا تقريع، فكان مما يدعو الناس الى تفهم القرآن هو العقيدة، وأسباب أخرى، منها الحاجة إلى فهم النص لإيجاد حلول تتعلق بسلوك الإنسان وشريعته، وهنا لا بد من الكشف عن المكنون في النصوص وقد أخذت الدراسات تفتح آفاقا واسعة لعامة الناس فضلا عن المتخصصين، ومن هنا بدأت دراسة العلاقات الدلالية بطريقتين إما طريقة تأملية عميقة وهذه الطريقة اعتمدت الاختصاص والمستوى الثقافي وعمق الاعتقاد، واما طريقة ساذجة تعتمد على السماع من هنا وهناك للوصول الى معلومة تملأ الفراغ الفكري عند بسطاء القرآء ولذلك تجد القرآن مثارا للنزاعات والمنافسات والمطارحات، وما يهم في البحث كلا الطرفين، فعندما يتأمل الناس بعض النصوص قد لا يصلون الى المعنى المراد، ولكن تفحص العلاقات الدلالية يعود بالفائدة على الذهنية الساذجة فيجعلها تتأمل وتقرأ، والأهم هو الدراسات التي تبحث عن العلاقات الدلالية التي هي أعمق بكثير من الصنف الأول ويمكن حصر ذلك بما يأتي:

1-التحول الدلالي من خلال السياق

كثيرا ما يلاحظ أن بعض الالفاظ قبل النظر إلى سياقها تؤدي معنى مستقبحا في ذهنية القاريء فالالفاظ (لوط، فرج، نكاح) تشكل قبل الدخول في سياقها مفهوما غير محمود عند الناس، ولكن بمرور الزمن وبالتطور الدلالي وبالنظر إلى السياق العام بدأت هذه الالفاظ تأخذ مجالها الطبيعي في ذهنية الناس، فلوط على سبيل المثال اسم احد الانبياء (ع) ولكن التحول الدلالي أعطاها رؤية ذهنية أولية بمعنى الفاحشة وهذا الاستقباح في اللفظ أزاله

---

1 – النساء / 82.

المعنى بالنظر إلى السياق فضلا عن المفهوم الثقافي الذي بدأ يأخذ طريقه عند الناس، وعند شيوع اللفظ في داخل سياقه كقوله تعالى ((قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ ۖ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ))[1] فاللفظ في السياق هنا أبعد شبهة اللفظ بالعلاقات الدلالية بالنداء يا لوط، ورسل، وامرأتك وغيرها، وكلمة فرج في قوله تعالى ((وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا))[2].

فالملاحظ أن كلمة فرج تبعث الحياء عند الناس ولكن استساغتها في القرآن وربطها بالمفاهيم الدلالية أعطت معنى أكثر أناقة، فالعلاقات بين غض الأبصار وعدم إبداء الزينة خففت من مباشرة المعنى فاعطته صورة أدبية ،فضلا عن دلالة أفادت المعنى الدقيق من خلال السياق، وهكذا الالفاظ الأخرى كالنكاح مثلا، إذ ان المعنى يعطي عمقا مفهوميا أكبر من الزواج لأن النكاح هو دقة العملية، وكل هذه الالفاظ عند دراستها سياقيا توحي بالتحول الدلالي في الذهنية، فبدلا من مباشرة المفردة يبدو لك أدب المفردة وهذا السلوك قد لا يعطي المفاهيم نفسها في غير القرآن.

2 – الوسائل الدلالية والتماسها في النص

لا يخفى أن كثيرا من النصوص القرآنية لا يمكن كشفها الا بوضع خريطة سياقية تجمع المفاهيم للوصول الى عمق النص، وهنا لا بد من استقلالية الذهنية والبعد عن الأهواء العاطفية فلو تأمل المتأمل قوله تعالى مثلا ((وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ))[3].

فالوسائل التي تشكل العلاقات الدلالية هنا (خليفة، الأرض، يفسد، الأسماء، عرضهم) وهذه الوسائل الدلالية تكشف عن السياق كالعلاقة بين الخليفة وآدم، والعلاقة بين سفك الدماء ومعرفة الملائكة، والعلاقة بين الأسماء وهم، وكل هذه شكلت بعدا دلاليا أن الأرض خلقها الله تعالى للاستخلاف فيها ،والاستخلاف بشري بدلالة هؤلاء وهم وإن كان ذلك مثار

---

1 – هود / 81.

2 – النور / 31.

3 – البقرة / 30 – 31.

نزاعات بين المفسرين، وهنا يبدو أن العلاقات الدلالية توصل إلى المعنى وإن كان أوليا. ومن الأمثلة الرائعة في الوصول إلى المفهوم من خلال العلاقات الدلالية بمساعدة السياق قوله تعالى ((إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ))[1].

عند التأمل في قوله (قرآنا عربيا) ثم تختم الآية بقوله (تعقلون) يبدو أن اللغة بهذا المعنى تعكس الجوانب الفكرية بمخاطبة العقل وجعل العقل في مصاف اللغة.

3 – انتقال المعنى وتقوية الدلالة

لعل ما يلفت النظر في قوله تعالى ((وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا))[2].

هو الحجاب المستور، فالمعنى من خلال السياق تبدو دلالته بقوله تعالى (حجابا)، والحجاب هو الساتر، فاذن ما العلاقة الدلالية بين الحجاب والمستور فقد (كان بعض نحويي البصرة يقول: معنى قوله (حجابا مستورا) حجابا ساترا ولكنه أخرج وهو فاعل في لفظ مفعول)[3] ويبدو أن (مستورا) تعطي قوة دلالية للفهم ومن ذلك أيضا قوله تعالى ((وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَا أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ))[4] فقوله تعالى تلك عشرة، قوى معناها لفظ (كاملة) واعطى للسياق بعدا أوسع في الفهم وقد بدأت الآية المباركة بقوله (وأتموا) ومن خلال هذا المعنى. وقد (قيل: ولذا كان قوله تعالى: (تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ) أحسن من تامة فإن التام من العدد قد علم وإنما نفى احتمال نقص في صفاتها، وقيل تم يشعر بحصول نقص قبله وكمل لا يشعر بذلك)[5].

---

1 – يوسف / 2.

2 – الاسراء / 45.

3 – أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبري : تفسير الطبري ج 16 ،تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة : دار المعارف ، تراث الاسلام ، لم تذكر سنة النشر) ص657.

4 – البقرة / 196.

5 – العسكري أبو هلال / الفروق اللغوية ،ص 458.

ويبدو أن التساؤل عن المعاني في القرآن الكريم يؤدي إلى الكشف الدلالي بالتماس وسائله، وهذه هي الطريقة التي قد تُوصل إلى المراد من خلال التأمل، أو وضع خريطة لكل نص من النصوص لكشف علاقاته الدلالية، وعلى سبيل المثال ان من يجيب بعدم وجود فرق بين الكمال والتمام في الآية المباركة التي مرت، فهذا من ما لا فائدة منه فماذا يعني وجوده، إذن لا بد من الاستكشاف من خلال التراكيب والوسائل وتأملها تأملا دقيقا وفي القرآن كثير من هذا المعنى فهل كله يعني التركيب؟

الباب الخامس

الفصل الثاني

أسباب التعثر في دراسة الدلالة السياقية

أسباب التعثر في دراسة الدلالة السياقية

لا شك أن الدراسات السياقية ليست حديثة، بل من الملاحظ أن المتتبع لكتابات علماء اللغة، واهتماماتهم بوضع النصوص أمام الفكر هي الركيزة الأولى للدراسات السياقية، والبحث عن الدلالة أين ما وجدت ، لكي يتسنى للدارس الوصول إلى المفهوم الظني للنص، وإن قال قائل لماذا لا يصل إلى المفهوم اليقيني للنص؟ فيمكن القول بالرد إن القرآن الكريم متجدد العطاء في مفاهيمه، ومفاهيمه ليست مقرونة بزمن، ولا متوقفة على حدث، وانما تلك الأشياء وسائل مساعدة، وقد يعترض معترض فيقول إن الحديث الشريف هو المفسر، وهنا يمكن الرد بأن الحديث لم يكن نصه نصا واردا بلفظ عن الرسول (ص) بل هو مفهوم لنص أو فكرة لنص وإلا فما فائدة علم دراية الحديث أو علم الجرح أو التعديل، ولكن بلا شك هو الوسيلة الكبرى المساعدة في فهم النصوص، وبالأخص النصوص التي تتعلق بالأحكام الشرعية والعقائدية، ولذا كان التأخر في التفسير أسبابه كثيرة منها ما يتعلق بضعف الروايات، واختلاف صيغها، ومنها ما هو مقبول إذا عرض على القرآن ولكن ليس يقينا.

ومن الأمور التي أوقفت الفهم الدلالي هو حرف المعنى لجهة معينة ،منها الواقع السياسي والاستفادة من ظاهر النص دون العمل بدلالته كأن يكون وضع طاعة الحاكم مقرونة بطاعة الله والرسول وإن كان الحاكم جائرا، والسبب هو حرف النص لما تريده السلطة أو الدولة ومن ذلك قوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً))[1].

فالذي يرى النص على ظاهره دون التماس الوسائل الدلالية يحرف النص ويفسر (أولي الأمر) الحاكم وإن كان جائرا، أما الذي يلتمس الوسائل الدلالية يرى أن قوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) فمرد الأمر وولايته من خلال المفهوم الدلالي يعني أن الطاعة ، ومرد الأمر لا بد أن يكون لله ورسوله وهناك أدلة كثيرة واردة في القرآن في هذا المعنى، وهي التي ولدت الخلاف في التفسير للاختلاف الفكري، والسبب السلبي هنا يعود الى عدم الالتفات أوغض النظر عن السياق ودلالته

---

1 – النساء / 59.

فإذن كان للميول التي تتعلق بالتعصب الفكري، وضعف الروايات وموقف السلطات هي الأسباب الكبرى التي عطلت البحث الدلالي الحقيقي.

ولكن من يرى ويتتبع الدراسات القرآنية التي تتعلق باللغة، أو الأصولية يجد أن هذه الدراسات كانت ناضجة تتفق مع المفاهيم الحديثة وحسبك كتب الجرجاني والزمخشري والطبرسي فضلا عن الدراسات الحديثة.

فكل هذه الدراسات ساهمت في الكشف الدلالي عن مفاهيم كثيرة في النصوص لأنها تقف باستقلالية أمام فهم النص، ولذا كانت دراستهم موضوعية.

كما أن للواقع الفكري أثرا في إيجاد السياق الثقافي، الذي بدأ يستنطق النصوص اعتمادا على الوسائل الحديثة، دون التجاوز على المفاهيم العقدية أو الفقهية أو التعبدية، وهذا الباب فتح أبوابا كثيرة أخرى للتأمل في النصوص دون المساس بمفاهيمها العامة.

وهذه المساهمات شكلت واقعا جديدا لكل دارس وبحسب اختصاصه، فالقرآن كما قال فيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) (إن القرآن ظاهره أنيق وباطنه عميق لا تفنى عجائبه ولا تنقضي غرائبه ولا تكشف الظلمات إلا به)[1].

---

1 – الشريف الرضي ، أبي الحسن محمد بن الحسين : نهج البلاغة مجموعة خطب مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع) ، تحقيق الشيخ فارس الحسون (قم : مركز الأبحاث العقائدية 1419 هـ) ص198.

الباب الخامس

الفصل الثالث

التأثير الدلالي الفطري

التأثير الدلالي الفطري

عند دراسة الدلالة و مفهومها من خلال السياق وما تشكله من ظواهر يتضح للدارس ان الدلالة السياقية، اما ان تكون فطرية تشكل وقعا نفسيا ذاتيا لا علاقة له بعمق التامل في المعنى ، او تعبديا عاطفيا يتعلق بما يعتقده الانسان ، او ما يشكل لديه من ظواهر كسبية لها علاقة بالواقع التربوي فتشكل للدارس خبرة في الكشف عن دلالة المعنى و مكنونه ، و هذه الظواهر قد مر دراستها على وجهين ، اولها الدراسات الاكاديمية التي تتعلق بالكشف عن المعنى على وفق طرق و اساليب و وسائل تكشف عن المعنى ، و قد تتعلق بها ، و من جراء ذلك وضعت ضمن حدود السياق الثقافي او الاجتماعي ، و تتعلق بواقع و عمق الدراسات ، و لذلك حددت الدلالة (بالدلالة الاصطلاحية و تعتمد على ما تصالح عليه المعنيون بشأن حدودها و اوجه استعمالها ، و هي متحولة بحسب الزمكان و الحاجات و المستجدات و لانها متحولة فمن الصعب التزامها بمعجم اصطلاحي محدد)[1].

و هذا ما يؤكد واقع الوضع في المفردة و البحث عن دلالتها ، فالحاجة و الاستحداث عاملان مهمان في الرغبة في الوضع ، و هما ظاهرتان و وسيلتان في الكشف عن دلالة المعنى. و هذه يمكن ان تكون الى جانب قريب من الفطرة في استحداث و وضع له حاجتة و قد تكون الدلالة تأسيسية و (الدلالة التأسيسية هي متحولة بشكل تفوق الاصطلاحية لان الدلالة الاصطلاحية جمعية و ان تبدلت بتبدل الحاجات و الامكنة و الازمنة وفق اشتراطات غير يسيرة ينهض بها المجتمع حينا و المختصون حينا اخر ، اما الدلالة التأسيسية فهي تعول على وجهة نظر الباحث الذي يحولها باتجاه منهجه و اسلوبه)[2].

اما الدلالة الفطرية فقد تكون في واقع اخر بعيد كل البعد عن المنهج الذي اشترطته الدراسات ، او الواقع الذي فرضه الزمان و المكان ،او ما يتعلق بالفكر الذي بدأ ينحى بالدلالة مناحي واسعة و متشعبة - و بلا شك - ان اهمية مثل هذه الدراسات له عمق و مفهوم بعيد المدى في فك كثير من الاشكالات او العقد التي لا يمكن الوصول اليها بسهولة وهذا ما حدث للنص القراني ، لان النظرة المتجددة للقران توحي بان المعنى قد يكون لكل زمان و مكان و هذا هو معجز القرآن.

---

1 - الصائغ ، عبدالاله : الادب الجاهلي و بلاغة الخطاب ، ادبية و تحليل النص (دمشق : دار الفكر / دمشق ، 1999) ص73.

2 - المصدر نفسه.

اما الجانب الفطري فله وقع اخر ، فقد يكون فيه التأثير نبريا و هذا مما لا علاقة له بدلالة المعنى بكامله ، بل بالصوت الذي يكشف عن المعنى جزئيا فلا يوصل الى المفهوم الدلالي للمعنى المطلق و لكن يعطي مفهوما معجزا يتعلق بفطرة الانسان و من هذا (يستخلص احد العلماء المتأخرين مثل القاضي عياض بأنه لا يقع في سحر تلاوة القران المستمعون له الذين يعرفون العربية فحسب ، بل غيرهم من العجم. و يستشهد على ذلك بقصة ان احد النصارى الذي لم يكن يفهم القران و لم يعرف شروحه و مع ذلك بكى لما سمع القران و لما سئل عن سر بكائه قال : للنظم الشجي ، و يقول في حالة اخرى عن قائد عسكري بيزنطي ، سمع القران ممن اسره من المسلمين فسافر هو بنفسه بعد تلك الواقعة قاصدا مكة ، ليعلن اسلامة امام عمر)[1].

و يعلل ذلك انه (يتصف القران بقدر كبير من الموسيقى و علو مستوى النظم ، بحيث يهتز لسماعه كل شخص حتى الذي لا يفهم اللغة العربية ، فمد الكلمات و التنغيم و التقفية و الايات و التوقفات رتبت بطريقة تؤثر حتى على غير العربي الذي لا يستطيع معرفة معاني الكلمات. فالنغم هو الذي كان وراء تشكيل هذه الصورة الرائعة)[2].

وبلا شك ان الفطرة هنا ساهمت في الكشف عن المدلول النغمي الذي اثر و (ان القران بذلك النغم الجميل المميز له ، و بهذه القوة الجاذبة و تلك الحلاوة الكامنة في اعجاز اياته بتلك الانغام العميقة المفسرة لآياته و كثافة الايقاع تثير في المستمع حالة من الشعور بعاطفة رقيقة فيها نعومة و طراوة ، كما تبعث بحركة في روحه لا تظهران في اي حديث اخر ولا عند اي انشاد اخر ، و حتى الذين لا يفهمون العربية ولا يعرفون الاسلام تؤثر فيهم القوة الجاذبة للمعجزة ، بل انها تصيبهم بالقشعريرة)[3].

ان هذه الظواهر الفطرية دفعت الى التأثر بالنص دون فهمه و بلا شك شكلت فهما دلاليا فطريا و هاجسا نفسيا اوحى اليه بعض المعاني ، والا كيف يقرر الدخول في الاسلام بهذه السرعة و بحكم سريع على النص ، فاذن هناك تأثير دلالي فطري جعل هؤلاء يتأثرون فطريا ، وهذه المفاهيم قد تشكل ظاهرة دلالية عند عامة الناس بغض النظر عن تعليمهم

---

1 - نفيد كرماني : بلاغة النور ، جماليات النص القراني (بغداد ، بيروت : منشورات دار الجمل ،2008) ص49.

2 - ابو زهرة ، محمد : المعجزة الكبرى للقران ج 1 /262 (بيروت : دار الفكر العربي ، 1976) ص262.

3 - نفيد كرماني: بلاغة النور ، جماليات النص القراني عن كتاب تاريخ القرآن ص221 لراميار (و هو مترجم عن هذا الكتاب)ص 49.

او ثقافتهم و لذلك ترى كثيرا من الناس يدلون بمفاهيم اولية فطرية لا علاقة لها بواقع تأملي في اي نص من النصوص، فتتشكل لديهم مفاهيم قد تكون مؤثرة فيهم من الجانب التعبدي او من المعجز الذي يرونه في هذه النصوص.

و في القران عند تأمله و دراسته يوحي لكل قاريء بشيء و ان كان لا يفهمه وهذا يأتي بسبب النظم المعجز الذي يراه الناس، و يتداولون كلامه سواء كان منهم من يفهم العربية او لا يفهمها ، حتى ان هذا الامر يؤثر في عقائد الاخرين و (ان ظاهرة الدخول في الاسلام الناجم عن تجربة شعورية بجمال النص بالمعنى الدقيق للكلمة و استمرار الظاهرة لعدة قرون بعد بزوغ شمس الاسلام ، هو امر يكاد لا يثبت له مثيل في المسيحية ، فليس في الانجيل ولا في مواضع اخرى تظهر اخبار و قصص مشابهة او روايات بتلك الكثرة)[1].

1 - نفيد كرماني : بلاغة النور ، جماليات النص القران ، ص51.

نتائج البحث

نتائج البحث

1 - ان المفهوم الدلالي عند علماء العربية كان ظاهرا في دراساتهم ، الا ان هذه الدراسات غير مستنطقة بشكل دقيق ، و ان الدراسات الحديثة اخذت او اعتمدت على الدراسات الغربية في موضوع السياق. و يمكن التماس ذلك في التفسير و الدلالة السياقية عند الاصوليين.

2 - ان دراسة السياق تتطلب فهم اللفظ مع ما يجاوره من الالفاظ و فهم الجملة مع ما يجاورها من الجمل للوصول الى فهم تكاملي للنص ، و ان فهم النص القراني يعتمد على عوامل مهمة هي اسباب النزول ، و البيئة القرانية ، و المعجم اللغوي ، و اهمية الحدث ، و وضع اللفظ ، و ثقافة المتلقي او الدارس.

3 - لا بد من فهم النص بعودته الى التخصص الذي ينطلق من البعد الثقافي او المقامي و الابتعاد عن الاهواء و فهم النص على اساس عاطفي ، و مجانبة التعصب الفكري ، فلا بد من النظر الى النص من باب الاستقلال للوصول الى المطلوب ، لان منهج بعض المفسرين الفكري يجعله يبالغ في تفسير النص بل تأويله الى ما يهوى.

4 - الاستفادة من الواقع العلمي في فك رموز بعض النصوص التي تتجسد فيها المعاني العلمية ، بالاعتماد على البحث اللغوي مقرونا بالمفاهيم العلمية المعاصرة ، و النظر الى النص من خلال البحث الموضوعي الذي يركز على مباني النص الحقيقية.

5 - في كل نص تتوافر عدة عوامل تحيط بظرفه فلا بد من دراستها جميعها دون ترك اية مفردة او لفظ او علاقات دلالية توصل الى المعنى ، لان دراسة النص من جانب واحد او الاعتماد على عامل واحد قد لا يُوصل الى المطلوب ، و يمكن الاصطلاح على ذلك بتشريح النص و الاستفادة من الاحتمالات جميعها للوقوف عند رؤية دقيقة.

6 - إن لكل مفردة دلالة ايحائية او مركزية او تصورية او فطرية و هذه تقود الى الدلالة التي يمكن ان تساعد في الكشف عن المعنى و هنا لا بد من الاخذ بنظر الاعتبار بالواقع الثقافي او الفكري فضلا عن الاستفادة من العلوم الانسانية في الكشف عن المضامين.

7 - يعد السياق من ركائز الترجيح الاساسية في منهج التفسير و لذا لا بد من دراسته دراسة موضوعية.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

1– القران الكريم.

2 – ابراهيم مصطفى وآخرون : المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة : مكتبة الشروق الدولية ، 2004.

3 – ابن تيمية ، أبو العباس أحمد تقي الدين بن عبد الحليم ت 728 هـ : مجموع الفتاوى ، تحقيق عبد الرحمن محمد بن قاسم ، الرياض : مجمع الملك فهد ، 2004.

4 – ابن جني، أبو الفتح عثمان ت392 : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار، بيروت : عالم الكتب ، 1972.

5– ابن خلدون ، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد ت 808 : مقدمة ابن خلدون ، تحقيق عبد الواحد وافي ، القاهرة : مطبعة النهضة ،2004.

6– ابن سيدة ، علي بن اسماعيل ت 458 هـ : اعراب القران ، الكتاب ألكتروني المكتبة الـ شامـلة 1999. http://shamela.ws/ /

7– ابن شبة ، أبو زيد عمربن شبة النميري ت 262هـ : تأريخ المدينة المنورة ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ،مكة المكرمة : منشورات مركز البحث العلمي , جامعة أم القرى 1979.

8– ابن عاشور، محمد الطاهر : تفسير التحرير والتنوير ، تونس : الدار التونسية للنشر 1984.

9– ابن عمر الرازي ، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر ت 604هـ : مفاتيح الغيب المعروف بتفسير الرازي ، بيروت : دار الفكر 1981.

10– ابن فارس ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت 395: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب وكلامها ، تحقيق أحمد حسن بسج ، بيروت : دار الكتب العلمية 1997.

11– ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم ت 276 : تأويل مشكل القرآن ، شرح أحمد صفر، ط 2 ، القاهرة : دار التراث 1973.

12– إبن القيم ، أبو عبد الله محمد بن ابي بكر بن ايوب ت 751 هـ : الفوائد المشوق الى علوم القرآن وعلم البيان ، تحقيق محمد بدر الدين النعساني ، القاهرة : محمد الخانجي الكتبي وشركاؤه 1327هـ.

13– ابن قيم الجوزية ، أبو بكر عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب ت 751 : أعلام الموقعين عن رب العالمين ، تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان أبو عبيدة ، جدة : دار ابن الجوزي 1423 هـ.

14– ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت 774هـ : تفسير القرآن العظيم / تحقيق سامي بن محمد السلامة ، الرياض : دار طيبة 1999.

15– ابن معصوم المدني ، السيد علي صدر الدين ت 1120هـ ، أنوار الربيع في أنواع البديع ، تحقيق شاكر هادي ، النجف الأشرف : مطبعة النعمان 1969.

16– ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي بن أحمد بن حقبة الأنصاري 714هـ : لسان العرب ط 3 ، بيروت : دار صادر ، 1414هـ.

17– ابن الهائم المقريء ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عماد الشافعي ت 815 هـ : التبيان في تفسير غريب القرآن ، طنطا: دار الصحابة 1992.

18– الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ت 310 هـ : تفسير الطبري ج 16 ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة : دار المعارف ،1374هـ.

19– ابو زهرة ، محمد : المعجزة الكبرى للقران ، القاهرة : دار الفكر العربي ، 1976.

20– أحمد عبد الرحمن بن حسن العاكش : النظم القرآني بين المعتزلة والاشاعرة ، أبها : كلية الشريعة وأصول الدين جامعة الملك خالد السعودية 2006.

21– أحمد ،عصام أسعد : المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها ، دراسة تطبيقية في سور جزء عم ، غزة: الجامعة الإسلامية- كلية اصول الدين ، 2012.

22– أرباب ، سيد حسن : النبر في القرآن الكريم ، الخرطوم : جامعة افريقيا العالمية دراسات دعوية العدد 17 كانون الثاني 2009.

23– أنيس ، ابراهيم : الأصوات اللغوية ، القاهرة : مكتبة النهضة مصر ومطبعتها ، 1958.

24– ايزوتسو ، الباحث الياباني توشيهيكو: إستخدام علم الدلالة في فهم القرآن ، قراءة في تجربة توشيهيكو ، د. عبد الرحمن حللي،عمان: جامعة الأردن 2008.

25– الآلوسي ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، بيروت : دار احياء التراث الاسلامي ، 2008.

26– البستاني ، بشرى و وسن عبد الغني : في مفهوم النص ومعايير نصية القرآن الكريم ، دراسة نظرية ، الموصل : جامعة الموصل ، مجلة ابحاث كلية التربية الاساسية المجلد 11 العدد 1 ، 2011.

27– بشر ، كمال : علم الأصوات ، القاهرة : دار المعارف 1980.

28– البع ، رمضان : دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم ، دراسة تحليلية ، مجلة الأقصى المجلد 13 العدد 2 ، غزة : كلية الاداب ، 2002.

29– البيضاوي ، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد ت 791هـ : أنوار التنزيل واسرار التأويل المسمى بتفسير البيضاوي ج 5 ، تحقيق محمد صبحي الحلاق ومحمد الاطرش ، دمشق: دار الرشيد ، 2000.

30– بيدق ، سالم : الحقول الدلالية لـ (هل في السياق القرآني) ، ليبيا : جامعة السابع من آبريل كلية الآداب ، المجلة الجامعة العدد 12، 2010.

31– التميمي ، صبيح : دراسات لغوية في التراث القديم صرف تركيب دلالة معاجم ،عمان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،2003.

32– الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر ت 255 هـ : كتاب الحيوان ، ج1، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط 2 ، القاهرة : منشورات مصطفى البابي الحلبي 1965.

33– الجرجاني ، عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، ت 471هـ : أسرار البلاغة، تحقيق محمود شاكر أبو فهد ، القاهرة : مكتبة الخانجي ، مطبعة المدني ، 1991.

34– الجرجاني عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، ت 471هـ : دلائل الاعجاز ، تحقيق أبوفهر محمود محمد شاكر، القاهرة : مكتبة الخانجي ،مطبعة المدني 1984.

35– الجنابي ، أحمد نصيف : ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد 35 ج4 ، بغداد : كلية الآداب الجامعة المستنصرية ، 1984.

36– الجنابي ، سيروان عبد الزهرة ، وعيدان ، حيدر جبار : جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية، الكوفة : مركز دراسات الكوفة 2008.

37– الجندي ،علي : صور البديع ، القاهرة : دار المعرفة والنشر 1951.

38– الجوهري، اسماعيل بن حماد ت 393هـ : تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفور عطا، بيروت : دار العلم للملايين ، 1991.

39– تريكي ، مبارك : النداء في القرآن الكريم ، الجزائر : جامعة ابن يوسف بن خدة ، 2006 .

40– حسان ، تمام : اللغة العربية معناها ومبناها ، ط 4 ، بيروت : عالم الكتب / 2004.

41– حسان , تمام : مناهج البحث اللغوي ، الدار البيضاء : دار الثقافة ، 1974.

42– حسان، تمام : الأصول ، الدار البيضاء : دار الثقافة ، 2009.

43– حسان، تمام : قرينة السياق ، جدة : مطبعة عبير 1993.

44– حسونه ، السيد عبد السميع : النظم القرآني في تفسير القرطبي (دراسته اسلوبية)، دبي : مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية العدد 21 سنة 2001.

45– الحصيني ، نجم بن مسفر :(الإعجاز الفيزيائي في القرآن الكريم) منظمة المجتمع العلمي العربي ، ملتقى العلماء والاطباء والمهندسين العرب .
http://www.arsco.org/

46– الحكيم ، محمد تقي : الاشتراك والترادف ، بغداد : مطبعة مجلة المجمع العراقي ، المجلد 12 لسنة 1965.

47– حلبص، محمد يوسف : البحث الدلالي عند الأصوليين ، بيروت : عالم الكتب الطبعة 1991.

48– الحوراني ، يوسف عبد الله : التنغيم ودلالته في العربية ، دمشق : مجلة مجمع اللغة العربية ، المجلد 60 ، جزء 4 ، 1985.

49– خضير ، علي حميد : الجديد في العروض ، ط 2 ، بيروت : عالم الكتب والنهضة العربية ، 1986.

50– الخطابي ، حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب ت388 هـ : بيان إعجاز القرآن ، (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ط 3، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ، ود. محمد زغلول سلام ، القاهرة : دار المعارف ، 1976.

51– خليل ، حلمي : العربية وعلم اللغة البنيوي الحديث دراسة في الفكر اللغوي الحديث ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1988 .

52– الداية ، فايز : علم الدلالة العربي ، النظرية والتطبيق ط2 ، بيروت دار الفكر المعاصر ، 1996.

53ـ - دحدوح ، محمد دحدوح :(عواقب ثقب الأوزون من معجزات القرآن) موسوعة الاعجاز العلمي للقرآن والسنة موقع الكتروني . http://quran-m.com/

54– الدينوري ، عبد الله بن مسلم بن قبيتة المزوري ت 276هـ : غريب الحديث ج 1 تحقيق عبد الله الجبوري ، بغداد : وزارة الاوقاف العراقية ، احياء التراث الاسلامي ، 1977.

55– الرازي ، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن حسين ت 606هـ : التفسير الكبير، بيروت : دار الكتب العلمية 2004.

56– الزرقاني ، محمد عبد العظيم : مناهل العرفان في علوم القرآن ، ج 1، المحقق فواز أحمد زمرلي ، بيروت: دار الكتاب العربي ، 1995.

57– الزركشي ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله ت 794 : البرهان في علوم القرآن ، ج 1 ، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشلي وآخرون ، بيروت : دار المعرفة ،1990.

58– زكريا ، ميشال : الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية ، بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، 1982.

59– الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد ت 538هـ : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل ، ج 3 ، رتبه محمد عبد السلام شاهين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1995.

60– السامرائي ، إبراهيم عبود : الأساليب الإنشائية في العربية ، عمان : دار المناهج للنشر ، 2008.

61– السامرائي ، فاضل السامرائي ، لمسات بيانية في نصوص التنزيل ط 3 ، عمان: دار عمار للنشر ، 2003.

62– السبحاني ، جعفر : الأمثال في القرآني الكريم ، قم : مؤسسة الإمام الصادق (ع) ، 1998.

63– السرخسي،أبي بكر أحمد بن ابي سهل ت 490هـ : أصول السرخسي ، ج1 ، تحقيق ابي الوفا الافغاني ، الهند : لجنة احياء المعارف النعمانية ،1993.

64– السَّكَّاكي ، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي ت 626 هـ : مفتاح العلوم ، تحقيق د. أكرم عثمان ، بغداد : جامعة بغداد ، مطبعة دار الرسالة 1982.

65– السمرقندي ، شمس الدين محمد بن محمود ت 780 هـ : جمع نجوم البيان في الوقوف وماءات القرآن ، المدينة المنورة ، مكتبة عارف حكمة ، 1429هـ.

66– السمعاني ، منصور بن محمد بن عبد الجبار، ت 489 هـ : قواطع الأدلة في أصول الفقه ج1 ، تحقيق عبد الله بن حافظ بن احمد الحكمي وعلي بن عباس الحكمي ، الرياض : مكبتة التوبة ، 1998.

67– سويد ، عبد الله عبد الحميد : أحكام التجويد في القرآن الكريم في ضوء علم الأصوات الحديث دراسة مقارنة ، ط 2، القاهرة : جامعة عين شمس ، كلية اللآداب ، قسم اللغة العربية 1985.

68– السيوطي ، ابوعبد الرحمن جلال الدين ت 911هـ : لباب النقول في أسباب النزول ، بيروت : دار إحياء العلوم 1405هـ.

69– السيوطي،عبد الرحمن بن كمال جلال الدين ت 911هـ : معترك الاقران في اعجاز القرآن ج1 ، تحقيق أحمد شمس الدين ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1988.

70– السيوطي،عبد الرحمن بن كمال جلال الدين ت 911هـ : الاتقان في علوم القرآن ج 1،3 ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 1985.

71– شامية ،أحمد شامية : محاضرات في علم الدلالة ، وهران : مجلة تجليات الحداثة ، معهد اللغة العربية ، العدد 2 لسنة 1993.

72– شاملي ، نصر الله وماجد نجاريان : الإيقاع القرآني وتأثيره في أوزان الشعر العربي اصفهان : جامعة أصفهان ، كلية اللغات ، مجلة العلوم الإنسانية العدد 12 سنة 2005.

73 - شحرور ، محمد : الكتاب والقرآن آراء معاصرة موقع الدكتور محمد شحرور (. www.shahrour.org الكتاب الكتروني غير مرقوم)

74– الشريف الجرجاني : علي بن محمد الجرجاني 816هـ ، كتاب التعريفات ، مكة المكرمة : المطبعة الفيصلية ، 1992.

75– الشريف الرضي ، أبي الحسن محمد بن الحسين ت 406 هـ : نهج البلاغة مجموعة خطب مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، تحقيق الشيخ فارس الحسون ، قم : مركز الأبحاث العقائدية ، 1419 هـ.

76– شيرازي ، مكارم : الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، ج1 ، قم مدرسة الامام علي (ع) ، 1426 هـ.

77– الصائغ ، عبدالاله : الادب الجاهلي و بلاغة الخطاب ، ادبية و تحليل النص ، دمشق : دار الفكر ، 1999.

75– الصابوني ، محمد : التبيان في علوم القرآن ، بيروت : عالم الكتب 2002.

76– صالح ، محمد سالم : اصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ، جدة : كلية المعلمين ، جامعة الملك عبد العزيز ، طبعة الكترونية http://shamela.ws/.

77– الصدر ، محمد باقر : دروس في علم الاصول ج2 ، القاهرة وبيروت : دار الكتاب اللبناني المصري ،1978.

78– الصدر، محمد باقر : المعالم الجديدة للأصول ، النجف الاشرف : مطبعة النعمان ، 1975.

79– الصدر ، محمد محمد صادق : منة المنان في الدفاع عن القرآن ، قم: مؤسسة المنتظر ، مطبعة الكوثر ، 2011.

80– الصغّاني ،الحسن بن محمد بن الحسن ت 650 هـ : العباب الزاخر واللباب الفاخر، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد : دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الاعلام العراقية ،1981.

81– الصغير ، محمد حسين علي : الصوت اللغوي في القرآن الكريم ، بيروت : دار المؤرخ العربي ، 1420 هـ.

82– الصغير ، محمود احمد : الأدوات النحوية في كتب التفسير ، دمشق : دار الفكر ، 2011.

83– الصغير ، محمد علي : نظرية النقد العربي رؤية قرآنية معاصرة ، بيروت : دار المؤرخ العربي ، 1420 هـ.

84– الطباطبائي ، السيد محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن ، ج 16 بيروت : مؤسسة الاعلمي 1997.

85– الطباطبائي ، محمد حسين : الميزان في تفسير القرآن ، ج 12 ، بيروت : مؤسسة الاعلمي ، 1997.

86– الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير ت 310 : جامع البيان في تفسير القران ط2 ، ج 3 ، تحقيق عبد الحميد هنداوي ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2009.

87– طبل ، حسن :علم المعاني في الموروث البلاغي تأصيل وتقديم ، المنصورة : مكتبة الايمان ، 2004.

88– الطبرسي. أبو علي الفضل بن الحسن 502هـ : مجمع البيان في تفسير القران ، ج 9 تحقيق السيد هاشم الرسول المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي ، بيروت : دار المعرفة ، 1986.

89– الطبرسي. أبو علي الفضل بن الحسن 502هـ : مجمع البيان في تفسير القران، ج 6 ، تحقيق السيد هاشم الرسول المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي ، بيروت : دار المعرفة ، 1986.

90– الطبرسي. أبو علي الفضل بن الحسن 502هـ : مجمع البيان في تفسير القران، ج7 ، تحقيق السيد هاشم الرسول المحلاتي والسيد فضل الله اليزدي ، بيروت : دار المعرفة 1986.

91– طنطاوي، محمد سيد طنطاوي : التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ط 3 ،القاهرة : دار المعارف ، 1978.

92– عباس، فضل حسن : البلاغة فنونها وأفنانها ، ط4 ، عمان : دار الفرقان ، 1997.

93 – عبد الرحمن ، طه : البحث اللسالني ، الرباط : منشورات طلية الآداب سلسلة ندوات ومناظرات ، 1984.

94– العبد ، محمد : المفارقة القرآنية دراسة في بنية الدلالة ، القاهرة : مكتبة الآداب ،1994.

95– عبد اللطيف، محمد حماسة : النحو و الدلالة مدخل لدراسة المعنى النحو الدلالي ، القاهرة : دار الشروق 1993.

96– العزاوي ، نعمة رحيم : النقد اللغوي عند العرب ، بغداد : دار الشؤون الثقافية ، 1984.

97– العسكري ،ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل ت 420 هـ : الفروق في اللغة ، قم : مؤسسة النشر الاسلامي ، سنة 1412هـ .

98– العسكري ، الامام الحسن بن علي الهادي (ع) ت 260 : تفسير الإمام العسكري قم : مدرسة الإمام المهدي 1409 هـ.

99– العطار ، داود : موجز علوم القرآن ط 4 ، بيروت : مؤسسة الأعلمي للنشر والتوزيع ،1995.

100– علي السيد ، عز الدين : التكرير بين المثير والتأثير ، ط 2 ، بيروت : عالم الكتب ، 1986.

101– علي ، عاصم شحادة : قضايا الأصول التراثية المعاصرة في اللسانيات ، عمان: مجلة مجمع اللغة العربية الأردني ، العدد 79 لسنة 2010.

102– عكاوي ، أنعام فول : المعجم المفصل في علوم البلاغة والبديع والبيان والمعاني بيروت : دار الكتب العلمية ، 1992.

103– العمري فريد محمد : مجلة الأثر ، العدد 7 ، كانون الثاني ، المدينة المنورة : جامعة طيبة ، 2013 .

104– عمر ، أحمد مختار : علم الدلالة ط 5 ، بيروت : عالم الكتب ، 1998.
105– عون ، نسيم : الألسنية محاضرات في علم الدلالة ، بيروت : دار الفارابي 2005.

106– فتحي احمد عامر : فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القرآن الكريم ، القاهرة : المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، 1975.

107– فتحي ، ابراهيم : معجم المصطلحات الادبية ، تونس : المؤسسة العربية للناشرين المتحدين ، التعاضدية العمالية ، 1989.

108– الفراهيدي ، الخليل بن أحمد : العين ، تحقيق مهدي المخزوني وابراهيم السامرائي قم : مؤسسة الهجرة ، 1409 هـ.

109– فردنيان ، دي سوسير : دروس في الألسنية العامة ، ترجمة صالح القرمادي ومحمد الشاويش ، تونس : الدار العربية للكتاب 1985.

110– فودة ، عبد العليم : أساليب الإستفهام في القرآن الكريم ، القاهرة دار الفنون والآداب ، 1984.

111– الفيروزآبادي ، مجد الدبن أبو طاهر محمد بن يعقوب ت 817 هـ : بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، القاهرة : لجنة احياء التراث الاسلامي ، 1996.

112– الفيروز آبادي ، مجد الدين محمود بن يعقوب / القاموس المحيط ، بيروت ، دار الجيل 1995.

113– قحطان ، عبد الكريم أسعد : المقطع والكم والنبر في بنية اللسان العربية ، عدن : جامعة عدن اليمن ، 2007.

114– قدور ، أحمد محمد : مبادئ اللسانيات ط 2 ، دمشق : دار الفكر ، 1999.

115– القرطبي ، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري ت671هـ : الجامع لاحكام القرآن ج3 ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي ومحمد رضوان عرقوسي ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، 2006.

116– قطب ، سيد : التصوير الفني في القرآن الكريم ، القاهرة : دار الشروق ، 2002.

117– لاينز، جون لاينز : علم الدلالة ، ترجمة عبد المجبد الماشطة ، البصرة : منشورات كلية الاداب جامعة البصرة ، 1980.

118– مارتينه ، اندريه : وظيفة الالسن وديناميتها ، ترجمة نادر السراج ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، 1989.

119 – مجاهد ، عبد الكريم : الدلالة اللغوية عند العرب ، عمان : دار الضياء للطبع والنشر ، 1985.

120– محمد حسين ، عبد الكريم : دمشق :جريدة تشرين عدد 14 لسنة ,2013.

121– محمود ، المثنى عبد الفتاح : السياق القرآني واثره في الترجيح الدلالي ، رسالة دكتوراه ، عمان : جامعة اليرموك 2005.

122– المخزومي ، مهدي : في النحو العربي نقد وتوجيه ط2 ، بيروت : منشورات الرائد العربي ، 1986.

123– مصطفى عواطف كنوس : الدلالة السياقية عند اللغوين ، لندن : دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع 2007.

124– مصطفى ، وردة : السؤال في ضوء القرآن الكريم ، غزة : الجامعة الإسلامية ، كلية اصول الدين ، 2009.

125– مطلوب، أحمد : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، بيروت : مكتبة لبنان 2000.

126– المظفر ، محمد رضا : اصول الفقه ، قم : مطبعة مكتبة الاعلام الاسلامي مكتبة 1993.

127– المظفر ، محمد رضا : المنطق ، النجف الأشرف : مطبعة النعمان ،1385هـ .

128– الميداني ، عبد الرحمن حسن حنبكة : معارج التفكر ودقائق التدبر ، دمشق : دار القلم ، 2000.

129ـ نجاد ، علوي حيدر . فهم النص في سياقه التاريخي ، قم : مجلة البصائر العدد 39 سنة 2006 .

130– النجار ، زغلول :القاهرة : بحث جريدة الاهرام – لشهر آب 2011 .

131– النحلاوي ، عبد الرحمن : التربية بضرب الأمثال ، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1999.

132– نفيد كرماني : بلاغة النور ، جماليات النص القراني ، بغداد : منشورات دار الجمل ،2008.

133– هنسون ، هيلازي : الانثروبولوجيون الاجتماعيون واللغة ، ترجمة محمود حمدي عبد الغني ، الاسكندرية : دار المعرفة الجامعية ، 1999.

134– هلال ، ماهر مهدي : جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب ، بغداد : وزارة الثقافة العراقية ، 2004.

135– الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد: أسباب النزول ، بيروت : دار الكتب العلمية ، 2000.

136– ياسين ، إحسان طه : الحروف المقطعة في القرآن ، دراسة تفسيرية ، تكريت : مجلة جامعة تكريت للعلوم ، كلية التربية، المجلد 19 العدد 4 لسنة 2012.

137– يوسف ، عبد الفتاح أحمد : قراءة النص وسؤال الثقافة ، عمان : عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، 1999.

138– يوسف ، الحاج أحمد : موقع موسوعة الاعجاز العلمي للقرآن ط 2 ، دمشق: مكتبة ابن حجر ، 2003.